الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة عباس لغرور-خنشلة-

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

تجليات الثقافة الشرقية في الشعر الروسي

القصائد الشرقية لألكسندر بوشكين أنموذجا

بحث مقدم لاستكمال مقاييس شهادة الماستير في اللغة والأدب

تخصص : الأدب العالمي والمقارن

إعداد الطالبة :

وهيبة إيكن

تحت إشراف :

د. شمس الدين شرفي

الاسم و اللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
خميسي أدامي	أستاذ محاضر –ب-	جامعة عباس لغرور –خنشلة-	رئيسا
شمس الدين شرفي	أستاذ محاضر –ب-	جامعة عباس لغرور –خنشلة-	مشرفا ومقررا
عبد القادر نويوة	أستاذ محاضر –ب-	جامعة عباس لغرور –خنشلة-	عضوا مناقشا

العام الجامعي : 2017-2018

5

شكر وتقدير

كلمات شكر وتقدير وامتنان مفعمة بالمشاعر الطيبة والصادقة إلى من لولاهم لما أنجزت هذا العمل.

إلى الدكتور شرفي شمس الدين الذي كان أباً لي قبل أن يكون أستاذاً مشرفا، وكان لي نعم النصوح الذي جرب الحياة وخبرها، فعلمني أن الحياة شجرة ورد يجب علينا أن نتعلم كيف نستطيع قطفِ زهورها دون أن نجرح أيدينا..

كما أفادني بتوجيهاته العلمية القيمة وخبرته النقدية

أدامك اللّٰهُ ذخراً لرسالة البحث والمعرفة. جزاه اللّٰهُ عني خير الجزاء.

وأوجه شكري أيضا إلى الأستاذ إبكر عبد السلام لوقوفه إلى جانبي ومساندته لي.

وشكرا.

إهداء

إلى من أخذ على عاتقه مهمة تربيتي وتعليمي

أبي

جزاه اللّٰهُ عني خيرًا..

إلي من قدست العلم دائماً، وان حُرمت مِنْه

أمي

شفاها اللّٰهُ وأطال بقاءها..

إلى من كانوا بجانبي وأمدوني بالحب والتعاون والاحتواء

إلى اخواني:

عبد السلام وزوجه سعاد وزهير وميهوب وحسان

إلى أختي الشمعة التي أنير بها طريقي أمي الثانية

سمراء وطفليها أسامة وملاك وزوجها مروان

إلى أحبتي بدون استثناء، مريم وابتسام وحيزية ورندة وهاجر ورحمة..

إلى كل من ساعدني من قريب او بعيد

إلي من ارتقيت بفضلهم في العلم درجة

أستاذي شرفي شمس الدين

الذي كان لي منارة أضاء مسار هذا البحث ليصل

إلى بر الأمان. له كل التفوق والتميز حفظه اللّٰهُ.

إلى الأستاذة قروي سميرة

إلى الأستاذ داود نصر

إلى هؤلاء جميعًا....أهدي عملي المتواضع هذا، مقرونًا بشعور العرفان بالجميل.

مُقَدِّمَةٌ

مقدمة:

يعد الأدب إنتاجا حضاريا ذا خاصية عالمية و إنسانية، وهذه الأخيرة جعلت منه قناة مهمة لتحقيق التواصل مع الآخر، وهذا الانفتاح مع الآخر أدى إلى التعايش بين الأنا والآخر سواء كان بجوانبه المشرقة أو جوانبه المظلمة في حين آخر، ولد لنا احتكاكا فكريا وتفاعلا حضاريا في صور متعددة ولعل التفاعل العربي الإسلامي والروسي خير مثال.

وكإسقاط على ذلك كله، جاءت مدونة الشاعر الروسي الكسندر بوشكين محملة بدلالات تثمن علاقة روسيا بالشرق، وذلك محاولة مني كشف تجليات الثقافة الشرقية في الشعر الروسي. وعلى هذا الأساس رأيت أن تكون هذه الدراسة تحت عنوان (تجليات الثقافة الشرقية في الشعر الروسي ألكسندر بوشكين)

ومن بين أسباب اختيار الموضوع انه يدخل في ميدان الأدب المقارن الذي يهتم بدراسات علاقة التأثر والتأثير بين الآداب.وتكمن أهمية الموضوع (تجليات الثقافة الشرقية في الشعر الروسي ألكسندر بوشكين الذي خص المشرق في مدونة تحت عنوان القصائد الشرقية فمن خلال العنوان يكون قد أعطى للمشرق مكانة في أدبه –بشكل عام- أما عن الأهمية الجوهرية للموضوع سالف الذكر، حسب رأيي في شقها الأول: يكمن في أن تأثر بوشكين بثقافة الشرق جعل من المشرق موضوع أدب عالمي، فلا يحتكر على فكر وأدب الذي ينتمي إليه. فكانت مدونته محملة بدلالات تنتمي إلى ثقافة مغايرة لثقافته ومن بين هذه الدلالات الحضور للأسير القوقازي، في نموذج دولة قوقاز الإسلامي بالدرجة الأولى من خلال حديثه عن قيم وأخلاق واقتباسه من القرآن دليل قاطع على اهتمامه بهوية المشرق الإسلامي، وحديثه عن شخصية النبي يبدو أن بوشكين، لم يكتف بالإنصاف بل تعدى إلى ابعد من ذلك إلى مرحلة الإعجاب وتبني الثقافة الشرقية بهويتها. أما في الشق الثاني فتكمن أهمية الموضوع من زاوية الاستشراق الروسي في طبيعة علاقتهِ ونظرته

للحضارة الشرقية وإنصافه وإعجابه بها، ولم يقع في فخ الاستشراق الأوروبي الذي مارس نوعا من التعسف والوصاية والنظرة الدونية لكل ماهو آت من الشرق.

وعبر إشكاليات مطروحة في هذا المقام، أهمها:

-ما هي شروط التي كانت وراء روسيا لانفتاحها على الشرق ؟

- ماهي المؤثرات التي دفعت بوشكين للكتابة عن الشرق؟

-وكيف تشكلت صورة الشرق في شعره؟

وقد اقتضت طبيعة هذا البحث ومنه الموضوع في تحقيق ذلك آلية الوصف والتتبع التاريخي، كما وظفت آلية التناص في محاولة إبراز تجليات الثقافة الشرقية في شعر بوشكين، انتهجت منهجية تقوم على مقدمة وفصلين وخاتمة، عرضنا في الفصل الأول **التفاعل الحضاري (التأثر والتأثير) بين العرب وروسيا**، وذلك من خلال استعراض أهم الوسائط التي عززت عملية التأثر والتأثير وفي أخر هذا الفصل ركزت على حياة بوشكين ومكانته، ومؤثرات الثقافة العربية الإسلامية في انتاجه.

وأبرزت في الفصل التطبيقي تجليات الثقافة الشرقية من خلال مدونة الكسندر بوشكين معتمدةً على آلية التناص بداية قمت باستخراج مظاهر التناص في القران وشرحها ثم ركزت على شخصية النبي محمد صل الله عليه وسلم وصفات المسلم.

لتلخص أهم ما عالجته في البحث وماتوصلت إليه من نتائج.

وقد اعتمدت في بحثي هذا على مراجع أساسية كانت لي منطلقاً، ومنها:

-مكارم الغمري في كتابها مؤثرات عربية وإسلامية في الأدب الروسي.

- فاطمة عبد الفتاح اضاءات على الاستشراق الروسي.

وأنا بصدد انجاز هذا العمل واجهتني العديد من الصعوبات، لكن عزمي إصراري جعلني أتحدى هذه العراقيل، ورغم هذا كله لم يمنعني بالإحاطة بحيثيات البحث وهذا بالاستعانة بتوجيهات الأستاذ المشرف شرفي شمس الدين الذي أحاطني بقيم فكرية وتوجيهات منهجية. أتقدم بجزيل الشكر إلى جامعة عباس الغرور خنشلة ومنه معهد الآداب واللغات خاصة قسم اللغة والأدب العربي.وفي الأخير أسأل الله السداد والتوفيق.

الفصل الأول

التفاعل الحضاري (التأثر والتأثير)

بين العرب وروسيا

الفصل الأول

التفاعل الحضاري (التأثر والتأثير) بين العرب وروسيا

1-الوسائط.

1-1-التجارة.

1-2-الاستشراق.

1-3-الرحالة.

1-4-الترجمة.

2-مؤثرات الثقافة العربية الإسلامية في انتاج الكسندر بوشكين

2-1-نبذة عن حياة الشاعر.

2-2-التعريف بأهم أعماله.

2-3-بوشكين والثقافة العربية الإسلامية.

تمهيد:

لعبت الحضارة العربية بتاريخها وثقافتها دورا مؤثرا وملهما للأدب الروسي بإثراء جانبه الفني وهذا من خلال مختلف الوسائط التي ساهمت في عملية التأثر والتأثير بداية بالاستقبال والتلقي في بداية القرن التاسع ميلادي ثم تلتها مرحلة الاستيعاب، التي زاد فيها التأثر إلى أن بلغ ذروته في القرن التاسع عشر الذي ميزه ازدهار الدراسات الاستشراقية. فمن أهم القنوات أو بالأحرى الوسائط التي تم التبادل الثقافي بين روسيا والشرق نذكرها كما يلي:

1- الوسائط

1.1- التجارة:

ابتدأت معرفة روسيا بالشرق من خلال التجار بحيث شهد القرن التاسع ميلادي بداية تاريخ العلاقات التجارية فقد وصل التجار الروس إلى أراضي الشرق ، يؤكد المؤرخ **بارتولد Bartold** « وجود العملات العربية الفضية في روسيا القديمة، فقد كان من عادة الشعوب ذات الحضارة العربية آنذاك على دولة روسيا القديمة »[1] وهذا خير دليل على تواجد أثار عربية تاريخية في روسيا وهذا ماعزز انتقال الثقافة العربية إلى الثقافة الروسية.

نشير في هذا الصدد رأي المستشرق الكبير **كراتشكوفسكي Krachkovsky** إذ يقول "كانت حركة التجارة القديمة بين روسيا والشرق هي أحد المسالك التي عبر من خلالها كلمات عربية إلى اللغة الروسية بما فيها مصطلحات الطب العربي من خلال الروسي بطرس سيريانين"[2] هذا يبين تاريخيا اهتمام الروس بالقضايا العربية من كلمات ومصطلحات علمية وأيضا يرجع ذلك الاهتمام إلى زيارة الحجاج إلى الأماكن المقدسة، ولعل "أول حاج روسي إلى فلسطين ملقب بدانيل، وقد قام برحلته إلى فلسطين في بداية

[1] مكارم الغمري، مؤثرات عربية وإسلامية في الأدب الروسي، عالم المعرفة، الكويت، دط، 1991م، ص: 27.

[2] مكارم الغمري، مؤثرات عربية وإسلامية في الأدب الروسي، ص: 27.

القرن الثاني عشر(1106_1107)، وقضى في فلسطين ستة عشر شهرا"[1] فأصبحت روايات التجار والرحالة والحجاج عبارة عن وثائق التي استسقى منها المستشرقون الروس بمعلوماتهم الاثنوغرافية وعاداتهم وثقافاتهم ، كذلك صارت المرجع الأساسي لكل حديث عن بدايات الاستشراق الروسي.

2. 1-الاستشراق:

علم الاستشراق في إطار الأكاديمي الذي يقتضي تفحص جميع المعارف والعلوم التي تتخذ من الشرق موضوعا للبحث والدراسة، كما أدل به **ادوارد سعيد** "أيسر التعريفات المقبولة للاستشراق فهو مبحث أكاديمي، بل إن هذا المفهوم لايزال مستخدما في عديد من المؤسسات الأكاديمية. فالمستشرق كل من يعمل بالتدريس أو كتابة أو إجراء البحوث في موضوعات خاصة بالشرق".[2] كما عرفها في موضع أخر من الصفحة نفسها متحدثا"الشرق جزء لايتجزأ من الحضارة المادية والثقافية الأوروبية والاستشراق يعبر عن هذا الجانب ويمثله ثقافيا بل فكريا"[3].

بحيث يعرفه **ضياء الدين سار دار**" أصبحت الدراسات **ل**عربية والإسلامي فرعاً أساسياً من الاستشراق من هنا فقد درس الاستشراق الإسلام والحضارات الأخرى باستخدام أفكار أوروبية عن الله والإنسان والطبيعة والمجتمع والعلم والتاريخ. "[4].

هذا يؤول إلى أن المادة الخام للاستشراق هي كل ما ينتج من الشرق أي أن الممارسة الاستشراقية تقوم على البحث ودراسة لغات الشرق وعاداته وتحقيق مخطوطاته والتعرف

---

[1] المرجع السابق، ص: 27.

[2] ادوارد سعيد، الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق، تر: محمد عناني. ، رؤية للنشر والتوزيع القاهرة. ، ط 1 ، 2006، ص: 44.

[3] ادوارد سعيد، الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق، تر: محمد عناني، ص: 44.

[4] ضياء الدين ساردار، الاستشراق صورة الشرق في الاداب والمعارف الغربية، تر: فخري صالح، هيئة ابوظبي للسياحة والثقافة، ط1، 2012، ص: 26.

على تاريخه وجغرافيته وآدابه. ناهيك عن الدراسات المتعلقة بالثقافة العربية الإسلامية التي هي مادة الدرس الاستشراقي وذلك لأسباب ودوافع استعمارية وسياسية واقتصادية ودينية .

نستشف من ذلك أن الاستشراق كونه علم قائم بذاته له مدارس تنوعت حسب أطروحاتها.

بداية كانت معرفة العالم العربي الإسلامي قد تمت بدافع كنسي في أوروبا ، باعتبار أن الإسلام يمثل خطرا، إذ لابد معرفته بشكل واقعي ، في حين لم يكن تحدي بين الكنيسة الشرقية في روسيا وبين الإسلام، فقد كانت بلاد وسط أسيا المسلمة تقع ضمن روسيا القيصرية، بالتالي لم يكن تعصب ديني فقد درس الإستعراب الروسي الثقافة العربية الإسلامية على أنها جزء من تراثهم.

تذكر جميع المصادر التاريخية إلى أن الخطوط الأولى للاستشراق الروسي مع" بداية القرن الثامن عشر أخذت تظهر عن طريق تأسيس أكاديمية العلوم في بطرسبرغ، وقد أصدرت الأكاديمية المذكورة جريدة كشوف سانت بطرسبرغ سنة1. . . باللغتين الروسية والألمانية "[1]بحيث خصصت صفحات بارزة فيها لمعالجة شؤون البلدان الشرقية، ثم بدأت شهرة بعض علماء الشرقيات في الإمبراطورية الروسية الأكاديمية في العلوم وخاصة في"الربع الثاني من القرن الثامن عشر أمثال**(بيار Baire) و(كير. ker)**

كتب ***كير Ker(1692_1740)** مشروعا ضخما لتأسيس أكاديمية العلوم واللغات الشرقية في الإمبراطورية الروسية وذكر بأن العلاقات بين دولة تركيا والقرم وغيرها تستدعي تعلم اللغات الشرقية"[2]، وأكد على ضرورة تعليم الروس الكثير عن البلدان الشرقية الإسلامية وان يزودوا بمعلومات عن قوانين تلك البلدان وأنظمتها وعاداتها وتقاليدها. [1]

---

[1] محمود سعدون، السلوك. الاستشراق الروسي، دار المناهج، عمان، ط1، 2003، ص: 66.

[2] محمود سعدون السلوك، الاستشراق الروسي، ص: 67.

3المرجع نفسه، ص: 67.

*كير Kerهوالماني الأصل و إحدى كبار الباحثين الروس دعي إلى تدريس العربية والتركية و الإيرانية اقترن اسمه=

إذ نجد **كرتشوفسكي** من الذين أولوا الاهتمام **بكير** والامتنان له ُبحيث ساهم في دفع حركة الاستشراق الروسي من خلال مشروعه وسعيه في فهم الأخر أي التراث الشرقي ناهيك عن تدريس اللغة العربية واصراره بالطلب غير أن مشروعه لم ينجح في بداية الأمر إلا في 1733م.

إذ يقول محمود سعدون"، وقد اعتبر كرتشوفسكي مشروع كير هذا بأنه تركيبا تنظري وتطبيقي في الإعمال الاستشراقية التي أصبحت تتحقق منهجيا وبشكل منتظم بعد قرنين من الزمان تقريبا."[3]

أما **بيار Baire(1694_1738)** قد أعجب به كراتشوفسكي لما قدمه عن المصادر العربية" فأول مرة أبرزت أهمية المواد الشرقية بالنسبة لتاريخ روسيا وضم في كتاباته حروف الطباعة العربي."

قد اشرت فيما سبق إلى **كير وبيار** اللذين لعبا دورا هاما في **القرن الثامن عشر** في إدخال الكلمات العربية إلى اللغة الروسية.

لم تقتصر الحركة الاستشراقية في القرن الثامن عشر، بل امتدت إلى القرن التاسع عشر وهي فترة ازدهار **الاستشراق الروسي** كما أشير نقلا عن الشاعر الكازاخي المعروف (سيلمانوف)الذي يؤكد على الدور المميز الذي لعبته الآداب الأسيوية الشرقية على تكوين الشخصية الثقافية الروسية"بمعنى أن التركيبة الثقافية لروسيا ليست محلية محظة، بل استمدت كينونتها و ظروف تواجدها من الانتاجات الشرقية نظرا للتقارب الجغرافي.

بتأسيس أكاديمية أو جمعية العلوم واللغات الشرقية في الإمبراطورية الروسية 1733م وفتح قسم للغة العربية في جامعة بطرسبرغ ثم تطور عام 1855 ليصبح كلية للغات الشرقية وكانت الدروس الاستشراقية تتضمن القران الكريم وقواعد اللغة العربية.

في حين يرفض" الناقد السوفيتي **ليخاتشوف** ذلك و يرى أن الثقافة الأسيوية الشرقية لم تترك أي أثر ملحوظ على الثقافة الروسية حيث كانت أنظار روسيا تتجه نحو الغرب. "[1]إن رفض ليخاتشوف هو نوع من التعصب لاستقلالية الثقافة الروسية,لكن في حقيقة الأمر اهتمام الكثير من الأدباء الروس وخاصة المستشرقين منهم بالمخطوطات العربية والتراث العربي ينفي رأي المعارضين بلا شك وذلك لتواجد "لغة الطب والتجارة ولغة الحوار الروسي تؤكد على وجود العديد من الكلمات العربية في قاموس اللغة الروسية . "[2]مما يدل على اختلاط الحضارة الشرقية بالروسية.

بطبيعة الحال إن مدرسة الاستشراق الروسي تخطو خطوات نحو استقلاليتها، ,لكنها لقيت محاولات تصدي للثقافة الإسلامية، ونعتها بالعجز والجمود، لكن هذه الدعوة واجهتها معارضة شرسة من المستشرقين.

إذ نجد المستشرق **فرين** حاول الدفاع عن التراث العربي، لما قدمه للتراث الروسي. "رافق هذا التطور محاولات شعوبية لإنعاش الحروف القديمة كالحميرية لتحل محل العربية,لكن المستشرق فرين تصدى لهذه المحاولات. "[3]وإضافة إلى جهوده" في سنة 1751 تأسيس المتحف الأسيوي في موسكو والذي أودع في خزانته الكثير من المخطوطات العربية والتي صارت مركزا علميا للتحقيق والإصدارات ,ويعود الفضل في تأسيسها إلى المستشرق (فرين)"[4] فتلك المخطوطات العربية أصبحت مصدرا مهم في الاستعراب الروسي التي انتقلت عن طريق التجار ورجال الدين في العلوم والشعر والروايات وغيرها وإضافة لما قدمه المستشرق الروسي **سنكوفسكي***.

---

[1] المرجع السابق، ص: 68.

[2] المرجع نفسه ، ص: 69.

[3] المرجم نفسه، ص: 72.

[4] المرجع نفسه، ص: 73.

* سنكوفسكي Senkovesky) من الذين ساهموا بنشاط كبير في نشر الثقافة العربية وتميزسنكوفسكي بين أقرانه بمعرفة الشرق العربي على الطبيعة, فقد أمضى عامين في البلاد العربية درس خلالها العربية في إحدى الأديرة القريبة

ويعد المستشرق الروسي **سنكوفسكي Senkovesky (1800_1858)**من الذين ساهموا بنشاط كبير في نشر الثقافة العربية . .أهلتهُ للاشراف على مجلة «مكتبة القراء» وقد انعكس اهتمامه بالشرق العربي على النشاط في هذه المجلة، التي أسهمت بنشاط مميز في تقديم مواد عن الشرق العربي وترجمات لمؤلفات عربية، وتحقيقات عن انجازات الرحالة في الشرق العربي، وقد أسهم سينكوفسكي بالكتابة في موضوعات اللغة والأدب العربي، كما قام بتحرير الجزء الخاص بالاستشراق في «**القاموس الموسوعي». . .** وقد حاز نشاط سينكوفسكي في مجال الاستشراق تقديرا كبيرا فانتخب عضوا في الأكاديمية الأسيوية في لندن، وعضوا مراسلا بالأكاديمية العلمية في روسيا. "[1]وتنوعت نشاطاته المعرفية بالشرق و تجسدت من خلال إشرافه على عدة مجلات ، ثم امتدت الى منتصف القرن التاسع عشر مع المستشرق الروسي **كرتشوفسكيkrachkovsky (1883_1951)** الذي يعد قطبا مهما في حركة الاستغراب الروسي، لما له من مؤلفات عديدة ومختلفة عن الشرق وبالخصوص الأدب العربي ، وبداية بكتابه «**دراسات في تاريخ الأدب العربي**» تناول الشعر الجاهلي و هيكل القصيدة العربية ، وبما طرأ عليها من تغيرات في العصر العباسي والأموي ، كما يشير إلى نشأة الموشحات والعديد من الأجناس الأدبية.

على كل حال فتقدم علم تحقيق المخطوطات يعود إلى "كرتشوفسكي نفسه في كتابه «**مع المخطوطات العربية**» وكتابه الآخر«**تاريخ الأدب الجغرافي العربي.** » [2]

لقد ذكرنا سابقا أن **كرتشوفسكي*** هو أحد رواد الاستشراق الروسي لاهتمامه بالبحث في غوار الأدب العربي قديما وحديثا. إذ يتساءل أحمد سمايلوفيتش متعجبا

من مدينة صور جنوب بيروت, كما زار سوريا وقضى بها حوالي سبعة شهور, ثم بعد ذلك انتقل إلى القاهرة حيث قضي بعض الوقت كما زار صعيد مصر وتمكن سينكوفسكي خلال فترة زيارته للبلاد العربية من دراسة اللغة العربية والوثائق العربية وجغرافية وتاريخ مصروسوريا.

[1]مكارم الغمري، مؤثرات عربية واسلامية في الادب الروسي، ص: 33.

[2]ينظر: احمد سمايلوفيتش، فلسفة الاستشراق وأثرة في الأدب العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، دط، 1998/1418م، ص: 345.

لأمر_كرتشوفسكي_ "وإذا كان هذا أمره فهل كان اقل المستشرقين علما وإنتاجا ؟لقد كان غزير العلم والإنتاج معا، وإنما كل ما في الأمر انه كان رائدا للاستشراق العلمي في الاتحاد السوفيتي، ويكفيه فضلا أنه قد شق طريقه بثبات وجدارة وإخلاص وأكد مستقبل الدراسات العربية في هذا الجزء من العالم. "[1]

من خلال ماذكر يتضح أن دور أعلام المستشرقين الروس لعبوا دورا مهما في معرفة الثقافة العربية وإنصافهم لها في صورة_كراتشوفسكي _ومدافعين عنهافي صورة_فرين.

***المستشرقون الروس ومكانتهم:**

1-يوبوجان غوروف	**yobujan khorov**	رئيس المعهد بموسكو.
2-بوغونوف	**Bugolov**	متخصص في الفقه الاسلامي.
3- يوبيكايا	**Yubikaya**	متخصص في الادب العربي.
4- السيدة غرونفست	**Mrs. Gronvest**	متخصصة قي البلاغة العربية والنحو.
5-يوشاكوف	**Yushakov**	متخصص في السياسة والاقتصاد. [2]

3. 1-الرحالة:

كانت الرحلة دعما كبيرا لطبيعة العلاقة بين روسيا والشرق العربي، فقد تعددت الرحلات على اختلاف صيغها سواء كانت رحلات استكشافية أو سياحية أو تجارية ، وما يميز تلك الكتابات أنها معرفة وصفية، ولم تختلف عن وصف الرحالة والتجار الغربيين الأوائل

---

*اغناطيوس كرتشوفسكي. مستشرق روسي'مستشرق روسي' ولد عام 1883م. وتوفي عام1951م له اثار متعددة وشهرة واسعة في العالم العربي سجل كرتشوفسكي ذكريات رحلته الى البلاد العربية في مقال له بعنوان 'من تجولات في الشرق'اورد به انطباعاته عن زياراته للاماكن والمكتبات العربيةا وبعد من اوائل المستشرقين الذين شقوا الطريق الى دراسة الادب العربي المعاصر واتجاهاته ويكمن الرجوع لمعرفة التفاصيل حياته ودراساته ومؤلفاته الى نجيب' العقيقي. المستشرقون. دار المعارف القاهرة ط3. ص: 949_954.

[1]احمد سمايلوفيتش، فلسفة الاستشراق وأثرة في الأدب العربي المعاصر، ص: 345.

[2]المرجع نفسه، ص: 45.

للشرق الإسلامي، ولعل من أوائل التجار الذين زاروا بلاد الشرق ومكثوا فيها فترة. التاجر الروسي "**أفاناس نيكتين**، الذي امتدت رحلته إلى الشرق مابين (1466-1474م)، وزار فيها البلاد العربية ومكث فترة في بلاد فارس والهند، كما زار مسقط والصومال وتركيا، وألف كتاباً عن هذه الرحلة سماه **(الرحلة إلى الأراضي الواقعة وراء ثلاثة بحور)**"[1] لاتعد مؤلفات **نيكتين** الوحيدة التي كان لها أثر في تكوين انطباعات الأدباء الروس عن الشرق. فهناك "رحلة الأديب **أندري مورافيوف Muravev (**1806 –1874)، قد كان مورافيوف يستهدف من زيارته الشرق العربي زيارة الأماكن المقدسة إلي جانب زيارة الإسكندرية والقاهرة وسيناء وفلسطين ، وقد اجتذب كتاب مورافيوف اهتمام الأدباء الروس وبخاصة **بوشكين.** "[2]

لم تقتصر الرحلة على رحالة الروس في معرفة الشرق العربي فقد بادلهم الرحالة العرب في ذلك. إذ نجد الرحالة العربي **ابن فضلان** من أشهر الرحالة الذين كان لهم السبق في الكتابة عن الروس وتعريف بهم لدى العرب "وقد أرسله لخليفة العباسي المقتدر بالله سنة 309هـ وضمن بعثة علمية إلى بلاد البلغار*. وذلك بطلب من ملك بلغار ليفقهه في الدين الإسلامي وأسند له بأمر أن يبني له مسجدا"[3] ، لأنه قد ترأس وفدا إسلاميا إلى أرض بلغار مارا بروسيا لتثبيت الملك وشعبه على الإسلام. هذا يؤكد على أهمية الرحالة وأيضا محاورة ثقافة الأخر وأخذ صورة نمطية عنه إذ نجد **ابن فضلان "اتجه إلى نيسابور ثم إلي بلاد الصقلية (بلغاريا)وقد نجح في وصف المجتمع الصقالي نجاحا باهرا . وكان اليهود من الخزر يواجهون المسلمين بالعداء والضغط الهائلين. فنجح ابن**

---

[1] كمال بن محمد الريامي، مشاهير الرحالة العرب، دار كنوزللنشروالتوزيع، القاهرة، ط1، 2013ص: 89.

[2] ينظر: مكارم الغمري، مؤثرات عربية واسلامية في الادب الروسي، ص: 36.

***بلغار** عرق يتكون من قوميات مختلفة بعضها من أصول سلافية والبعض من أصول تركية جاؤوا في هجرات منتظمة للاراضي البلغارية من دول مجاورة كجمهورية مقدونيا واليونان والبلقان.

[3] كمال بن محمد الريامي. مشاهير الرحالة العرب. ص: 62.

فضلان في اقامة مناظرات فقهية مع ملك البلغار ورجال الدين هناك وترك لنا وصفا عظيما لرحلته عن البلغار والروس"[1]في رحلته ألم الماما بأحوال وعادات وكل مظاهر الحضارة والعمران ، ولم يصف شعب بلغار وحده، بل وصف الروس حسب قوله "رأيت الروس وقد وافوا بتجارتهم، ولم أر أتم أبدانا منهم، كأنهم النخيل، شقر حمر، لايلبسون القراطن(القمصان) ولا الخفاتين(ضرب من الثياب) ، ولكن يلبس الرجل منهم كساء يشتمل به على احد شقيه ، ويخرج إحدى يديه منه، ومع كل واحد فأس وسكين وسيف، وكل امرأة منهم على ثديها حق مشدود من حديد أومن نحاس أو من فضة أو من ذهب على قدر حال زوجها"[2]إذ انه وصف لباس الروس وزينة نسائهم ولفت انتباهه هيئة الروس وتركيبتهم الجسدية، وهذا يدل على القيمة الأدبية والعلمية لرحلته التي أثرت تاريخ روسيا. كما شكلت الشعوب المسلمة المجاورة لروسيا مصدراً هاماً من مصادر معرفة الروس بالعالم الإسلامي والثقافة العربية الإسلامية، هذا وإن صلات روسيا مع بلدان الجوار الإسلامي، ولدت فضولاً لمعرفة الإسلام وتجليات الثقافة الإسلامية وفيما بعد، عندما أصبحت بعض هذه الشعوب الإسلامية ضمن الدولة الروسية فإن هذه المعرفة أصبحت ضرورية.

4. 1-الترجمات:

كان للترجمة أهمية بالغة في ضبط العلاقة بين العرب والروس ، وذلك لفهم المنظومة الثقافية لكل منهما، فالمترجم الروسي لايسعى أن ينقل نصا روائي أو شعري فحسب ، وإنما يستقبل التراث العربي وحضارته أيضا.

ففي بداية الأمر كان المستشرقون الروس يقصدون مواكبة المستشرقين الأوروبيين للحاق بهم، فقد كانت ترجمتهم عشوائية لاتعتمد على برمجة معينة. نجد الجهود التي قدمت في

---

[1] محمود سعدون السلوك. الاستشراق الروسي. ص: 156.

[2] كمال بن محمد الريامي. مشاهير الرحالة العرب. ص: 64.

عهد بطرس الاول (حكم بين 1689م-1725م) سعيا من أن يحقق أهداف أربعة للاستشراق وقد أحصاها **محمود سعدون** فيما يلي:

1-تحضير كوادر علمية روسية اختصاصية في الشرق.

2-تأسيس مدارس ومعاهد لتعليم اللغات الشرقية وتعريف بحضارة الإسلام.

3-جمع المخطوطات العربية والآثار الشرقية

4-ترجمة الأدبيات الاروبية عن الشرق. [1]

كان الهدف الأخير دافعا لمعرفة الشرق والحاجة إلى تحقيق المخطوطات العربية، فمن بين النصوص التي كان لها أهمية هو القرآن الكريم كأعظم أثر عربي وإسلامي بحيث"أصدرت الأكاديمية العلوم الروسية عام 1716م. ترجمة للقران الكريم اعتمد مترجمه بوسنيكوف على ترجمة المستشرق الفرنسي **ديوري1647م.** "[2] يتبين لنا أن أول منجز لترجمة القران الكريم في **عهد بطرس الأول**، بالرغم من تلك الجهود المقدمة، آنذاك إلا أن دراسات المستشرقين الروس لم تف بالغرض لأن اللغة الأوروبية وسيط بين اللغة الروسية والعربية، وهذا ما أثار" شكوك المستشرق **كراتشوفسكي** عن درجة الصدق والأمانة في هذه الترجمة المعنونة ب(**القران عن محمد ، أو القانون التركي**).

ففي ترجمة **بوسنيكوف** هذه وحسب إشارة **كراتشكوفسكي** هناك أخطاء كثيرة جدا ومع ذلك لايجب التقليل من شأنها نظرا لأهمية الحدث نفسه. "[3] تلا ذلك ترجمة أخرى عام 1776م، ولكن أول ترجمة للقران من اللغة العربية مباشرة إلى اللغة الروسية "كانت

---

[1] محمود سعدون السلوك، الاستشراق الروسي، ص،ص: 70،71

[2] محمود سعدون السلوك، الاستشراق الروسي، ص: 71.

[3] مكارم الغمري، مؤثرات عربية واسلامية، ص: 38.

عام1878م، والتي قام بها **سابلوكوف** ، الذي كان يتقن اللغة العربية اتقانا جيدا. "[1]وقد أشرت فيما سبق إلى الجهود التي قدمت في **عهد بطرس الأول** من بعثات علمية إلى خارج روسيا والشرق الأوسط من أجل تهيأت الكوادر الاستشراقية، "وفي بداية **القرن الثامن عشر** وبعد عودة البعثات الطلابية إلى روسيا استغلتهم **القيصرة يكاترينا** منذ عام 1772م بتعليم العربية في مدارس الدراسات الشرقية ، وقد أوعزت **كاترينا** بإعادة طبع القران الكريم وتوزيعه على مسلمي أسيا الوسطى التابعين لروسيا القيصرية. "[2]

وإضافة إلى مساهمة "المستعرب **موخلينيسكي** 1808_1877م بترجمة وتفسير القرآن الكريم اللغة البيلاروسية والبولندية من أجل التتار المسلمين الذين كانوا على حدود بيلاروسيا وبولندا وليتوانيا، ومع نهاية القرن الثامن عشر، وبتشجيع من **يكاترينا** الثانية. "هذا يدل على أن العلاقة مع الدول الإسلامية ازدادت اتساعا بعد خروج روسيا إلى مصاف الدول الأوروبية بعد بطرس الأكبر، التي كانت تعتمد في ترجماتها من الآداب الأوروبية ، "فلم تتبلور الدراسات الاستشراقية الروسية خلال **القرن الثامن عشر** لعدة أسباب منها:

1-عدم تدريس العربية بشكل منتظم في المدارس الشرقية.

2-قلة الكادر التدريسي وضعف المنهج العلمي الروسي في ميدان الدراسات الشرقية.

3-محاربة اللغة العربية من قبل بعض المسؤولين في أكاديمية العلوم الروسية. "[3]

فالسبب الأخير تجلى في محاول اليهود في التشويش على المستشرقين بإعتماد اللغة العبرية في الترجمات بدل اللغة العربية، وبخاصة بعد الاحتلال الروسي لمناطق أسيا الوسطى، كانت سلطاتها تتدخل في شؤون الدين الإسلامي وتحاول بشتى الوسائل تضيق

---

[1] م. م. محمد عبد علي حسين القزاز، (حركة الاستشراق الروسي وترجمة معاني ألفاظ القران الكريم). دراسات استشراقية ، مجلة فصلية، العدد1، 2014م/1435، جامعة الكوفة، ص: 236.

[2] ينظر: محمود سعدون السلوك، الاستشراق الروسي، ص: 71.

[3] محمود سعدون السلوك، الاستشراق الروسي ، ص: 72.

على نشاط رجال الدين المسلمين، لكن هذا لم يدوم طويلا بدليل ترجمت القران الكريم إلى عدة مرات، وتم افتتاح المدارس الروسية في بلاد المسلمين وافتتاح أقسام للدراسات الشرقية والعربية بشكل خاص.

ظهرت في نهاية **القرن الثامن عشر** ترجمتان للقران الكريم بالروسية، وقد أثنى عليهما **كراتشكوفسكي** رأى فيهما مستوى أعلى من الترجمة، وكان ظهورهما بمثابة حدث تاريخي بالغ في تاريخ الثقافة الروسية، و"حازتا تقدير **كرتشكوفسكي** الذي رأى فيهما حدثا تاريخيا بالغ الأهمية في تاريخ الثقافة الروسية، ولقد حفزت الترجمات الروسية لمعاني القران الكريم في صدور مؤلفات تتناول شرح القرآن الكريم، ومن أبرزها كتاب المترجم **(بوجدانيفيتش - Bogdanovich)** بعنوان **(محمد والقرآن)**، وقد لاقى نجاحا وأعيد طبعه مرات عديدة"[1]. لقد حازت هذه الترجمة على رواجا آنذاك مقارنة مع ماسبقتها من ترجمات، ويمكن لنا الإشارة إلى "أن الترجمة التي قام بها **(فيريوفكين_Veryovkin)** سنة1790م عن الترجمة الفرنسية القديمة ل**(دي رييي_A. Du Ruyer)**. وقد ألهمت فيما بعد، أمير الشعر الروسي**(بوشكين_A. puchkin)**لنظم سلسلة قصائده المشهورة**(قبسات من القران)**. "[2]التي ضمت قصائد أقتبس فيها من سور القران الكريم والتي سنتطرق إليها لاحقا. تزامنا مع ازدهار الدراسات الإستعرابية في مطلع القرن العشرين، وتعززت بجهود المستشرق **كراتشكوفسكي** بإصدار ترجمة لعدد من السور القرآنية مصحوبة بالشروح ضمن سلسلته المشهورة**(محاضرات حول القران الكريم)**. غير أن العالم لم يتمكن من رؤية عمله مطبوعا، إذ توفي عام 1951م، ولم تصدر ترجمته إلاسنة1963م[3].

هذا يبين أن جهود **كراتشكوفسكي** أولت بالاهتمام والدراسة لما فيها من الدقة والبحث فيما يحمله القرآن وما يسعى إليها وعلى حد تعبير الباحث **محمد عبد علي حسين القزاز** أن

---

[1] ينظر: م. م. محمد عبد علي حسين القزاز، (حركة الاستشراق الروسي وترجمة معاني ألفاظ القران الكريم). دراسات استشراقية ، مجلة فصلية، العدد1، 2014م/1435، جامعة الكوفة، ص: 238.

[2] المرجع نفسه، ص: 237

[3] المرجع نفسه، ص: 241.

المستشرق **كراتشكوفسكي** كرس حياته كلها في الدراسة ، بحيث أستغرق أربعين سنة كاملة. هذا يؤكد على أهمية النص القراني وعلى انكباب الكتاب الروس في ترجمته وايضا على طباعته من طرف مطبعة أكاديمية العلوم ببطرسبرج، وقد فاقت جميع الطبعات العربية الاخرى دقة وجودة وأعيد طبعها سنوات 1789، 1790، 1793، 1796، 1798م"[1]

لم تقتصر الترجمة على النص القرآني، بل تعدت إلى ترجمة أهم المؤلفات التي تميزت بها الثقافة العربية في تلك الفترة من شعر ونثر بكل ضروبه، على غرار موضوعات **مجنون ليلى وعنترة بن شداد وألف ليلة وليلة وغيرها.** و"مما هو معروف أن أوروبا قد تعرفت على مؤلف **«ألف ليلة وليلة»** عن طريق الترجمة التي قام بها **أنطوان جالان الفرنسي Antoine Galland(1646_1715م) في عام 1704_1707م**... أما الترجمة الأولى باللغة الروسية لمؤلف**«ألف ليلة وليلة»** فقد قام بترجمته **فيلاتاف** في موسكو وعلى مدى ثمانية أعوام(1763_1771م) عن اللغة الفرنسية. "[2] الجدير بالذكر أن نصوص الليالي تعد كنز ثقافي يحوي على موروث عربي ، الذي ألهم الاروبيين وكذلك كبار الكتاب الروس وقد ترجمت عن النص الأوروبي لاعن المصدر العربي كما أنها لاقت رواجا وإقبالا كبيرا من طرف القراء الروس "وقد أشار أحد النقاد إلى أن القراء كانوا يفضلون مؤلف «ألف ليلة وليلة» على المؤلفات الأدبية الأخرى وقد أبدى بعض الكتاب شكواهم من عدم شراء العامة لكتبهم مما سيؤدي ذلك إلى موتهم جوعا، وهذا مما أدى إلى طبع ترجمة **فيلاتاف** لمؤلف **«ألف ليلة وليلة»** أربع مرات على مدى أربعين عاما:1763م، 1776، 1784، 1789، 1796، 1803. "[3]بالتالي قد واكبتها اهتمامات الدارسين وإصرارهم على ترجمة النص من أصل عربي وكانت أول محاولة "على يد أ.

---

[1] ينظر: مكارم الغمري، مؤثرات عربية واسلامية في الادب الروسي، ص: 38.

[2] نادية سلطان، تأثير ألف ليلة وليلة على الأدباء الروس في القرن التاسع عشر، دراسة تحليلية لبعض الأعمال الأدبية عند أ. أ. كريلوف(ل. ن. تالستوي)، عالم الفكر، مجلد، 18، العدد3، ص: 171.

[3] نادية سلطان، تأثيرألف ليلة وليلة على الادباء الروس في القرن التاسع، ص: 171.

ن. جوسيف(1810-1835) تلميذ المستشرق الروسي **سينكوفسكي** والذي كان قد تخرج في عام 1832م، ولكنه توفي في القاهرة دون أن يبلغ من العمر الخامسة والعشرين. وعن فترة وجوده في الشرق لمدة ثلاث سنوات كتب وصفا لرحلاته والتي تعرف عليها القراء"[1] هذا يؤكد أنه كان تواصل مباشر مع الشرق جراء الحاجة إلى معرفة النص الأصلي لمؤلف ألف ليلة وليلة. المميز في أن المستشرقين الروس لم يكتفوا بالترجمة فقط، وإنما سعوا في البحث عن نشأتها وأصلها فهناك من يعتقد أنها ذات أصل فارسي وهندي وآخرون يؤكدون أنها عربية الأصل وقد أيد هذا الرأي كل من أ. ي. كريمسكي ، أ. م. فلشتينسكي، ونود الإشارة هنا إلى "أن **الموسوعة الأدبية الروسية**، قد تضمنت معلومات عن أصل **«ألف ليلة وليلة»**، هذا الموضوع الذي كان محورا لعديد من الأبحاث العلمية كما تطرقت إلى سبب ظهور المؤلف وقصة شهرزاد مع شهريار، وأن الليالي تناولت القصص العربية المتنوعة والتي تتسم بروح الفكاهة والحكمة، واهتمت بالناحية التعليمية والتهذيبية والإرشادات والوعظ. [2]

أثارت ترجمة **«ألف ليلة وليلة»** إلى اللغات الاروبية واللغة الروسية فضول الدارسين وشغفهم للتعرف على الشعوب الشرقية، بدأت الزيارات إلى الشرق عامة والبلاد العربية خاصة. فحازت نصوص الليالي على اهتمام الأدباء الروس و كانت مصدرا لنسج قصصهم الخيالية و تقليدها من طرف بعضهم تقليدا مباشرا نذكر أهمهم :

تشولكوف	[الساخر](1766_1768م). [حكايات روسية](1780_1783م)
كازادايف	[الحكايات العربية في قالب من الشعر] 1877م 4 أجزاء.

[1] المرجع السابق، ص: 172.

[2] المرجع نفسه، ص، ن.

سينكوفسكي	سلسلة أدبية: [مجموعة من القصص الشرقية]. • قصة «البدوي» عام 1822م. • فارس الحصان الأشهب عام1833م.
ليف نيفولا يفيتش تالستوي	•حكاية الملك والقميص. •حكاية الوزير عبد الله. •حكاية القاضي العادل. •حكاية الملك والصقر.

[1]

في مختلف الانتاجات الأدبية السالفة الذكر، عمد أصحابها على أخذ حكايات_ألف ليلة وليلة_ وإعادة صياغتها بأسلوب أدبي يتناسب مع ذوق القارئ الروسي. وهكذا سيظل مؤلف ألف ليلة وليلة مادة غنية تساعد المؤلفين على الخلق والإبداع أمثال **سينكوفسكي وليو تولستوي وبوشكين.**

وهكذا ساهمت الوسائط المختلفة التي أسلفنا ذكرها في تقارب العرب وروسيا، بحيث تميز تطور الأدب الروسي وبخاصة في القرن التاسع عشر بالتفاعل مع آداب الغرب والشرق تأثيرا وتأثرا، وبالتالي حظيت التأثيرات الشرقية مكانة هامة في الأدب الروسي، وكانت تلك الوسائط الآلية المثلى في نقل الآداب والمعارف.

وإذا نظرنا إلى المجالات التي برز فيها التفاعل بين الثقافتين العربية والروسية على وجه الخصوص، نجد أن هذا التفاعل قد برز على نحو واضح وفعال في مجال الإبداع الأدبي

[1] ينظر: نادية سلطان، تأثير ألف ليلة وليلة على الادباء الروس في القرن التاسع ، ص: 174، 175، 176.

ولعل أول مايخطر ببالنا في هذا الصدد تأثر شاعر روسيا ألكسندر بوشكين بالثقافة العربية الإسلامية.

2-مؤثرات الثقافة العربية الإسلامية في انتاج الكسندر بوشكين:

قبل إلقاء الضوء على مؤثرات الثقافة العربية الإسلامية على إنتاج الكاتب الروسي المعروف ب ألكسندر بوشيكن. نود أن نشير إلى المكانة العظيمة التي احتلها، والتي لم يبلغها أديب آخر، وقد أطلق عليه شاعر روسيا الأعظم.

2-1-حياته:

من هو بوشكين**Alexander Pushkin** ياترى؟

ومما سبق ان بوشكين ولد في موسكو 26ماي1799م في أسرة أرستقراطية نبيلة ، ومأأن بلغ الثانية عشرة من عمره التحق بالثانوية(**lycée**)، التي افتتحت في القرية القيصرية قرب لينينيغراد (سميت حاليا مدينة بوشكين) المخصصة لأبناء الطبقة العليا في «القرية القيصرية». ولما كان منتسبا للصفوة من أبناء الطبقة النبيلة، التي ساهمت بشكل كبير في تكوين موهبته الأدبية وكان الشخصية الأبرز في تلك الفترة ، وعندما زاره ديرجافين عام 1815م وسمعه يلقى أشعاره أعلن قائلا :«هذا من سيحل محل ديرجافين» [1]وصدقت نبوءته وأصبح بوشكين شاعرا ومبدعا ومحبوبا لدى الشعب الروسي.

وكونه من أسرة مثقفة أحب المطالعة منذ حداثة سنه، فكان منكبا على المطالعة كل ماتقع عليه يداه، "ومن الذين أثروا على بوشكين في طفولته وصباه والده الذي كان يقرض الشعر بالفرنسية، فبدأ بوشكين بمحاولة كتابة الشعر بالفرنسية وهو في الثامنة وتعلم اليونانية والانجليزية وقرأ شعر شكسبير وبايرون، كما تأثر بمربيته الروسية التي علمته

[1]تشارلزأ. موزر، تاريخ الادب الروسي، تر: شوكت يوسف، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، دط، 2011، ص: 166.

الروسية وحب الوطن"[1]، فنشأ على حبه للغتين الفرنسية والانجليزية، مما قربه أكثر لمنابع الأدب الأوروبي، وتشبعه بروح القومية الوطنية وإحساسه بالالتزام اتجاه وطنه، فبعد تخرجه من الثانوية عام1817م انتسب إلى الجماعات الأدبية السرية، حيث كانت انطلاقته الحقيقية فأطلق العنان لقريحته وأعتبره أحد الأدباء الروس «هدية مقدسة» لتميزه بأعماله التي شهدها الأدب الروسي في القرن التاسع عشر.

فتباينت أعماله بين قصائد ذات مضامين سياسية يتحدث فيها عن الحب والحرية والصداقة، بما في ذلك قصيدة «الحرية»1817م **(Volnost)**التي دعا فيها إلى عقاب قانوني، وايضا وقصيدة «الى تشادايف»**(Chadaevy1818)**[2]، التي تعهد بها تكريس خدمة قضية الحرية، بحيث لفتت هاتان القصيدتان انتباه السلطات، لان العصر الذي عاش فيه بوشكين عرف بالاستبداد السياسي والاجتماعي فدعي إلى وضع حد لهذه الغطرسة وانتهاك حريات الشعوب ووجوب إحلال الديمقراطية الشعبية، مما أثار غضب القيصر الذي قرر التخلص منه بنفيه إلى الجنوب (منطقة القوقاز)، بحيث لعبت فترة تواجده في المستعمرات الروسية الجنوبية دورا ايجابي في توجيه اهتماماته نحو الشرق.

2-2-أهم أعماله:

كانت بداياته بعد تخرجه من الثانوية بقصيدتين «الحرية» و«إلى تشادايف» كما أسلفنا الذكر، ثم رواية «روسلان ولودميلا» عام 1820م وتعزز إنتاجه الثقافي في فترة تواجده في المنفى بثلاث قصائد قصصية:[3]

---

[1] شهاب غنم، (بوشكين الذي يعرفنا)، جريدة الاتحاد، متون الثقافي، د ع، 01 أفريل 2010، ص: 13.

[2] تشارلزأ. موزر، تاريخ الادب الروسي، تر: شوكت يوسف، ص: 168.

[3] المرجع نفسه، ص: 168.

_«الأسير القوقازي» (**Kavkazky plennik**)1820_1821 تروي هذه القصة الشعرية 'الاسير' هو ضابط روسي متمرد تحرره حبيبته الشركسية من آسريه وكذلك يصف شعوب القوقاز. اذ يقول:

عندما يجلس الشركسي في موطنه

مع عائلته آمنا

في أوقات المطر

ويتجمر الفحم في الموقد

يدخل عليه طارق متعب

يجلس على النار من وجل

عندها ينهض رب البيت

ملاطفا اياه بود وتحية.

_كتبت عام 1824م بعد زيارة بوشكين ل «نافورة الدموع»الموجودة في قصر (بقجة سراي) بجزيرة القرم، تروي ذكرى مقتل الأميرة البولونية (ماريا) على يد الجورجية (زريمة).

كوكب الحريم الشاحب

أيعقل ان تنسي هنا؟

أمأن ماريا وزريمة

أم أن حلم لخيال

رسم في العتمة الموحشة

رؤاك الخاطفة

مثالا مبهما روحك؟[1]

_«الغجر» (**Tsygany**)كتبت عام 1824م تروي أحداث التي قضاها بوشكين مع قبائل الغجر في مولدافيا ويصف ترحالهم عبر بيسارابيا.

يرتحل الغجر عبر بيسارابيا

بحشود صاخبات

يقضون الليل هذا اليوم عند النهر

في خيام ممزقة

كالحرية مبيتهم مبهج

ومطمئن نومهم تحت السماوات[2]

بدأ بوشكين عمله الأدبي الأعظم شهرة _روايته الشعرية «يوجين أونيجن» (**Evgeny Onegin**)1820م، تتألف هذه الرواية من ثمانية فصول يحتوي كل منها خمسين مقطعا شعريا وجاء المقطع في أربعةعشر سطرا، وتحكي رواية قصة لقاء وغرام يوجين الشاب الارستقراطي ابن العاصمة سانبطرسبورغ وتاتيانا لارينا الفتاة الريفية البريئةوايضا وصف

[1] ينظر: الكسندر بوشكين، القصائد الشرقية، تر، طارق مردود، منشورات دار علاء الدين، دمشق، ط1، 1999م ، ص،ص: 76، 77.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص: 189.

فيها البيئة والمحيط (القرية الروسية، موسكو وبطرسبورغ)[1]، فهذه الرواية تعكس بوضوح تحول بوشكين من الرومانتكية الي الواقعية ، وذلك من خلال تجسديه صورة الصفوة النبيلة في تناقضها، بين متطلبات الذات والمجتمع العلوي من جهة والواقع من جهة أخرى.

كذلك قدم بوشكين على الكتابات النثرية أهمها المسرحية الدرامية **بوريس غودونوف1825م**، التي جسد فيها تاريخ روسيا في فترة نهاية القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر، وهي الفترة التي تعكس سنوات حكم القيصر **بوريس جودنوف** الذي اشتهر في التاريخ الروسي بطغيانه وظلمه.

وأيضا القصة التاريخية **ابنة الأمير1836م**، وقد تناول فيها أحداث تاريخية لثورة الفلاحين التي قادها بوجاتشوف الفلاح في روسيا، والتي حدثت في سبعينيات القرن الثامن عشر. [2]

تناول بوشكين في أشعاره كثير من الموضوعات مثل الطبيعة والحب والصداقة والوطنية و كان متحمسا للاتجاه العاطفي الرومانسي ، ولكنه ما لبث بعد فترة أن غير اتجاهه إلى الواقعية، وألف بعض الأعمال التي عبرت عنها فجاءت من صميم الواقع. كما انساب النشاط الأدبي لبوشكين تحت تأثير الحركة الديسمبرية أو التحريرية التي 1852م التي عبر عن أفكارها ومطالبها المتمثلة في رفع شعارات العدل الاجتماعي. وكان وراء قيام هذه الحركة "وهي ماتركته الحرب الفرنسية- الروسية التي امتدت مابين عامي1805_1814م والتي استطاع خلالها نابليون بونابرت(1769_1721م)احتلال موسكو عام1812م بعد معركة بوردينو قرب موسكو ، وبعد ذلك خرج من موسكو، وبعد

---

[1] تشارلزأ. موزر، تاريخ الأدب الروسي، تر: شوكت يوسف، ص: 168.

[2] كاسوحة إبراهيم، بوشكين من خلال أدبه، مجلة الآداب الاجنبية، العدد99_100، السنة24، صيف، خريف، 1999، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ص: 91.

ذلك خرج من موسكو فلاحقه الجيش الروسي بقيادة كوتوزوف واستطاع الجيش الروسي دخول باريس وقتل **نابليون بونابرت**"[1]

وقد أثرت سنوات نفي بوشكين إلى القرم والقوقاز في تعزيز نزعته الأدبية والسياسية، وأصبح عالمه غنيا بالرغم من صغر سنه، كما" أنه اعتز بالتراث القومي فتأثر بكبار الشعراء الروس بخاصة باتيوشكوف ، جوكوفسكي ، دافيدوف، كارامزين، فأستفاد من تجربتهم وتجلى هذا في قصائده التي كتبها في فترة الليسيه"[2]. كما تميز إنتاجه الشعري حسب وصف **بيلينسكي** "بالإخلاص بشكل مدهش للواقع، سواء تناول وصف الطبيعة الروسية أم الطبائع الإنسانية". وعلى هذا الأساس توج **بوشكين** شاعرا قوميا، بل مؤسس للأدب الروسي الحديث، و ذلك عندما قرب لغة الكتب السلافية الكنسية من لغة الحياة الشعبية. [3]وأصبح بوشكين أحد رواد تحديث اللغة الأدبية الروسية وظهر ذلك في مؤلفاته الشعرية روسلان ولودميلا. إضافة إلى ذلكنزعتهُ العالمية نحو التراث العالمي للغربْ ، مما جعل عالمه لايقتصر على روسيا وحدها، بل كان يقرأ الشعر بطلاقة باللغتين الإنجليزية والفرنسية، وتعرف في سنوات شبابه على أعلام الأوروبيين أمثال:موليير، شكسبير، بايرون، جوته، فولتير، روسو، راسين،... وغيرهم.

في أوج عطائه، وفي ريعان شبابه، "قتل الشاعر بوشكين عام1837م اثر مؤامرة دنيئة حيكت على أيدي أعدائه من الأول. فقد نشروا الشائعات المغرضة التي تمس شرف زوجته عام1836م. وبعد أن طلبه بوشكين للمبارزة قتل على إثرها برصاص الغدر والخيانة. فشهدت وفاة بوشكين المأساوية روسيابأسرها وبكتهُ الأمة الروسية كلها، وهاهو

---

[1]ينظر، بيتروف، ألكسندر بوشكين1799_1827، تر، ممدوح أبو الوي، مجلة الاداب الاجنبية، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق، العدد99_100، خريف1999، السنة الرابعة والعشرون، ص: 52.

[2]المرجع نفسه، ص: 53.

[3]ينظر، مكارم الغمري، مؤثرات عربية وإسلامية في الأدب الروسي، ص: 65.

الكاتب الروسي المعروف أودويفسكي يقول في وفاته:ابك ياوطني الشقي. . لن تنجب في أمدِ قريب مثل ولدك هذا، لقد أنهكت ولادتك لبوشكين قواك. "[1]

2-3-بوشكين والثقافة العربية الإسلامية:

فقد كان تأثر بوشكين بالثقافة الشرقية بارزا، مما تجلى في أعمالهِ ويرجع اهتمامه إلى عدة أسباب على سبيل الذِكر لا الحصر، اهتمام أوروبا بشكل عام وروسيا بشكل خاص بالمشرق العربي وثقافته، وأيضا معاصرة بوشكين فترةْ ازدهار الاستشراق في روسيا، التي تزامنت مع ظهور الحركة الرومانسية، وكان أحد روادها، وكذلك الوضع السياسي في روسيا، ناهيك عن دوافع ذاتية التي تتعلق بإصول بوشكين وكذلك قدراتهِ الإبداعية والأدبية وعلاقاتهِ بمختلفْ الحضارات.

يقول بوشكين عن تأثير العرب والمسلمين في الثقافة الأوروبية ، "وأن العرب في اسبانيا وهبوا للشعراء الأوروبيين الوجدان والعفوية في الحب"[2]، كما يؤكد على أن هناك "أمرانِ أساسيان أثرا تأثيرا حتمياً على روح الحياة في أوروبا ، وهما غزو العرب للأندلس والحروب الصليبية". [3]

بحيث ساهم إنتاج الأدباء الأوروبيين المتأثرين بالشرق في فك أول الشفرات لدى أمير الشعراء الروسي **ألكسندر بوشكين** عن الشرق وعن كل مايصدرعنه، "وذلك من خلال قراءته لأعمال فولتير**voltaire** الدرامية المتأثرة بالشرق، وخطابات فارسية لمونتيسكو **Montesquieu**، ومؤلفات شاتوبريان **Chatobrain**وفولفان يوهان غوته**Goethe** في

---

[1] ينظر: نزارعيون السود، شاعر روسيا الاكبرألكسندر بوشكين، مجلة الاداب الاجنبية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، العدد99_100، صيف، خريف1999، السنة الرابعة والعشرون، ص_ص: 21، 22.

[2] اضاءات على الاستشراق الروسي، ص: 56.

[3] اضاءات على الاستشراق الروسي، ص: 56.

مؤلفه قصائد الشرقية"[1]ويبدو أن بوشكين كان نهما للقراءة والمطالعة والكتابة باللغتين الفرنسية والانجليزية كما أسلفنا الذكر.

وكما عاصر فترة ازدهار الدراسات الاستشراقية الروسية في القرن التاسع عشر وهي بداية الاهتمام الفعلي بالثقافة العربية. مما أعطى له إمكانية الولوج أكثر في عالم الشرق والتعرف على الترجمات لنماذج الأدب العربي، فقرأ حكايات ألف ليلة وليلة التي كانت قد ترجمت من العربية إلى الفرنسية في الأعوام (1702_1712) على يد المستشرق الفرنسي أنطوان جالان، التي ترجمت إلى الروسية في (1762_1771)"واستوحاها بوشكين في الكثير من مقطوعاته الشعرية، وتجلى هذا التأثر في حكايته الشعرية "**روسلان ولودميلا**" التي نلمس فيها عناصر من عدة قصص من كتاب "ألف ليلة وليلة"، بحيث تتطابق القصة السابقة مع العديد من قصص الليالي خاصة قصتي "المارد والصبية" وقصة "أبي محمد الكسلان" في كثير من من تفاصيلها، ففي قصة أبي محمد الكسلان، يخطف الجنى ابنه الشريف عروسة محمد الكسلان في ليلة الزفاف، وكذلك يفعل الجني في روسلان ولود ميلا نجده يخطف العروس لود ميلا ابنة المير فلاديمير في ليلة زفافها"[2].

إن هذا الأثر الزاخر_ ألف ليلة وليلة_ كانت لها أثر كبير على ثقافة الشعوب الأسيوية واالاوروبية، فقد كان لهذا الكتاب أثر عظيم ، إذ لانجد كاتب لم يقرأها أولم ينسج قصص على منوالها، فـ**بوشكين** من الذين تأثروا بسحر عالم الحكايات في كتاب ألف ليلة وليلة وحكايات الصراع بين الخير والشر، الحب والكراهية وغيرها من المشاعر الإنسانية الجميلة والذميمة.

"كما اطلع على أعمال الروسي **سنكوفسكي** الذي صدرت له قصتي البدوي 1822م، وفارس الحصان الاشهب1823 م، والتي علق عليهما **بوشكين** بأنهما قصتان عربيتان

[1]ينظر: مكارم الغمري، مؤثرات عربية واسلامية في الادب الروسي، ص: 70.

[2]ينظر: المرجع نفسه، ص: 76.

رائعتان"[1] وهذا خير دليل على ما يكنه الشاعر، من إعجاب وامتنان لهذا السفر القصصي العربي الذي أيقظ خياله.

لعبت تأثيرات الثقافة الأوروبية التنويرية في روسيا وبالأخص على **الحركة الرومانتيكية** دورا مهما، بحيث تربط بين ظروف الطبيعة والجغرافيا وبين نمط حياة الشعوب الذي يسوده العدل والحرية والمساواة. فساهمت هذه الأفكار في توجيه اهتمام الرومانتكيين الروس نحو مجتمعات الشرق الذي ينعم فيه الفرد بالحرية والسعادة ، وبذلك أصبح الشرق طوباوي* في خيالهم كبديل لعالم روسيا الإقطاعي، فحاولوا بذلك تجسيد تلك القيم في انتاجاتهم من خلال استلهام عنصر الشرقي، من تاريخ ورموز وأساطير. وهذا ماسعى إليه بوشكين في أعماله. [2]

إن رومانتكية بوشكين وجدت ضالتها في عالم الشرق، "فنجد البطل الرومانتيكي نفسه في تناقض بين عالم المثل وعالم الواقع، فيعلن تمرده على الواقع بالهروب إلى عالم أخر يسوده السكينة، وهنا يكون الشرق هو ذلك العالم الذي يرتوي عطش الرومانتيكي. وهذا ماتجلى في القصة الشعرية «أسير قوقاز»"[3].

يبدو أن الأثر الأهم الذي يشهد على تأثر بوشكين بالثقافة العربية الإسلامية وانبهاره ببعض ما اطلع عليه منها هو "مقطوعاته الشعرية التسع المجموعة تحت عنوان محاكاة القرآن ، وقد اطلع بوشكين على القران الكريم باللغة الروسية وكان أعد هذه الترجمة الأديب **فيري وفكين** وصدرت في أواخر القرن الثامن عشر. "[4]إن اهتمام بوشكين

---

[1] نادية سلطان، تأثيرألف ليلة وليلة على الادباء الروس في القرن التاسع، ص: 172.

*طوباوي: هي نظرية مثالية تدعو إلى بناء مجتمع إنساني يقوم على ملكية الجماعية والتساوي في توزيع المنتجات والعمل الإلزامي لكل أعضاء المجتمع.

[2] ينظر: مكارم الغمري، مؤثرات عربية واسلامية في الأدب الروسي، ص: 67.

[3] ينظر: مكارم الغمري، مؤثرات عربية واسلامية في الأدب الروسي ، ص: 67.

[4] ينظر:محمد عبد علي حسين القزاز، (حركة الاستشراق الروسي وترجمة معاني ألفاظ القران الكريم). دراسات استشراقية ص: 237.

بالإسلام وبالقران الكريم، لم ينبع من فراغ أو كنتيجة لشطحات الخيال الإبداعي، بل أتم كثمرة لقراءاته المتعمقة في تاريخ الشرق العربي وحضارته وأثاره الأدبية والقرآنية، فضلا عن جذوره الشرقية الإسلامية التي ربطت بين الشاعر والشرق الإسلامي

وقد تناولت الباحثة الأمريكية **كاثرين ثيمر نيبو منياششي Catharine Nepommyashchy**في كتابها« تحت سماء افريقيا الكسندر بوشكين والسواد»

"في عام 1705 تقريباً ، تم نقل صبي أفريقي شاب من سلالة السلطان التركي من قبل المبعوث الروسي في القسطنطينية (إسطنبول)، وتم نقله إلى روسيا كهدية إلى القيصر الكبير الذي اشتهر بحبه ، فإن هذا الطفل، الذي عُوف فيما بعد باسم أبرام بتروفيتش غانيبال ، كان ليصبح أحد حاكم لأكبر إمبراطورية المتجاورة لروسيا."[1]

يتبين لنا أن نسب ألكسندر بوشكين هو إفريقي كون أن جده ذو أصول افريقية الملقب ب إبراهيم هنيبال لما كان صغير نقل من قبل المبعوث الروسي في القسطنطينية(اسطنبول) بتركيا وأرسل إلي روسيا كهدية إلى القيصر بيتر الأكبر، وعرف بحبه له وبعدها حكم أكبر إمبراطورية ، بحيث تميز بذكائه الذي أعجب به بوشكين وكان شديد الاعتزاز لمعرفته بنسب أجداده، فقد اجتذبته بشدة رواية قرابته من إنسان «افريقي الدماء»، مما أدى به إلى تخليد ذكرى الجد إبراهيم في أكثر من مؤلف، المعنونة ب«**عبد بيتر العظيم**».**the blackamoor of peter the great.** ، التي تعد وثيقة تاريخية عززت مكانة الجد في عهد بطرس الكبير.

واللافت في الأمر هو هيئة الشاعر بوشكين التي تبدو عليه ملامح افريقية، وعلى حد وصف الأمريكية **كاثرين** إذ تقول بحيث "شعره عبارة عن أكوام من الشعر ومجعد وأنفه الطويل ومسطح وواسع وشفتيه الممتلئة وصلبة ومنحوتة فهذه الملامح تبدو غريبة بعض الشئ كونه ولد وترعرع في عائلة روسية أرستقراطية".[2]

---

[1] Catharine and others, under the sky of my Africa Alexander Pushkin and blackness, northwestern university press,published2006 ,p: 03.

[2] Idem. p. 172.

أضفت الجذور الشرقية الإفريقية دورا في تأثر بوشكين بالشرق ، وقد تعددت الأسباب وراء اهتمامه وولعه بالعالم الشرقي، إذ نجد جل مؤلفاته قد اصطبغت بهذا المخزون الثقافي، الذي اعتبره بوشكين منفذا للإنسان الحر الطليق.

كما لفت انتباهنا هو ذكاء بوشكين ومهارته في إحراز مكانة اجتماعية ومادية مرموقة في روسيا وقد حصل على ثناء كل طبقات المجتمع بما فيهم الأدباء الروس وحسب وصف الأديب جوركي«أكبر فخر لروسيا، ومازال يحتفظ لنفسه بمكانة القمة مثل ليونارد دافنشي بالنسبة للفن الأوروبي»[1] ويؤكد بعالمية أمير الشعراء الذي لازال محفوظا في ذاكرة روسيا ، ومن دون شك قد صنف إلى زمرة الأدباء الذين خلدت أسمائهم.

ويجدر الإشارة إلى أن بوشكين قد تنوعت منافذه ومعارفه وخلفياته الفكرية ، وعلى حد قول "ديستوفسكي لم يستطع بوشكين أن يتوصل إلى الكونية إلا بعد أن هضم تراث الآداب الأخرى كالأدب الفرنسي والإنجليزي والعربي، وصهرها كلها في بوتقة الأدب الروسي والشخصية الروسية[2]". فقد اطلع بوشكين على الآداب الأجنبية من الأدب الفرنسي والانجليزي، الألماني، والعربي ، فكانت نظرتهُ ذات بعدا إنسانيا ، بالرغم من اعتزازه بثقافته القومية ولباطه بتراثه الوطني لم يمنعه ُ أن يكون شاعرًا كونياً بل استفاد من اختلاف الحضارات التي تعد مصدر إثراء للفكر والأسلوب، وتمكن من الخروج عن حدود الزمكان والأخذ بالتعرف على الحضارات المختلفة والتعمق فيها ودراستها.

والذي يهمنا في هذا البحث هو أثر الثقافة الشرقية على شعر ألكسندر بوشكين في مدونته القصائد الشرقية التي سنتطرق اليها لاحقا.

---

[1] مكارم الغمري، مؤثرات عربية واسلامية في الأدب الروسي، ص: 66.

[2] مكارم الغمري، مؤثرات عربية واسلامية في الأدب الروسي، ص: 66.

الفصل الثاني

تجليات الثقافة الشرقية في الشعر الروسي ألكسندر بوشكين «القصائد الشرقية»

الفصل الثاني: تجليات الثقافة الشرقية في الشعر الروسي

ألكسندر بوشكين «قصائد شرقية»

1_التعريف بالمدونة

2_نماذج مختارة

2_1_ قبسات من القرآن

2_2_ النبي

2_3_ المسلم الفقير

2_4_ أسير القوقاز

2_5_ القوقاز

2_6_ من حافظ

تأثر الشاعر الروسي الكسندر بوشكين(1799-1827م)، بالحضارة العربية الإسلامية، وبرزت معالم التفاعل مع الشرق في أشعاره بقوة.

1-التعريف بالمدونة

إن ديوان «القصائد الشرقية»،"الذي نظمه بوشكين في بداية نفيه إلى الريف الروسي1824م، فتحدث فيه عن الشرق والشعوب الشرقية وأقتبس من ثقافات الشرق وعقائده، ومن الشاعرين سعدي وحافظ شيرازي، كما ترجم معاني العشرات من الآيات القرآنية، وكذلك من خلال معايشته لشعوب القوقاز المسلم طوال أربعة أعوام، واختار من قصص وحكايات شعوبها فكتبها شعرا، وكذلك عن الغجر المرتحلين في السهوب، كما يكتب أيضا عن معاناة اسطنبول من الجنود الانكشاريين وعن أجمل امرأة في العالم وهي (كليوباترا)،"[1] فمن الدارسين لأهم مواضيعه(كليوباترا،اسطنبول)، نجد مكارم الغمري في كتابها مؤثرات عربية وإسلامية في الأدب الروسي، "ومن الذين ترجموا بعض شعر بوشكين من العرب، المصرية مكارم الغمري ومالك صقور والشيخ جعفر صاحب كتاب «قصائد مختارة لبوشكين» وطارق مردود صاحب كتاب «القصائد الشرقية»،"[2] هذا الأخير اعتمدنا على ترجمته لديوان بوشكين من اللغة الروسية إلى اللغة العربية.

ولإبراز صورة الشرق في مؤلفات بوشكين ومادى وطبيعة تأثره بالثقافة الشرقية، اِخترنا جملة من النصوص تجلى فيها التناص، فالتناص عند محمد مفتاح الذي اِعتبره ُظاهرة نقدية، لأنها شغلت حيزاً كبيراً من الإهتمام لدى الدارسين.فهي" فسيفساء من نصوص أخرى أدمجت فيها تقنيات مختلفة" وفي تعريف أخر له ُيقول هي "ظاهرة لغوية تستعصي على الضبط والتقنين يعتمد في تمييزها على ثقافة المتلقي وسعة معرفته وقدرته على

[1] الكسندر بوشكين، القصائد الشرقية، تر، طارق مردود، منشورات دار علاء الدين، دمشق ، ط، 1999، ص:

[2] شهاب غانم، بوشكين الذي يعرفنا، (كتاب جديد عن شاعر روسيا الذي قرت القران الكريم وتغنى بمعانيه)، ، د. ع، 2010مجلة متون ثقافية، الاتحاد، ص:13

الترجيح"[1]، فالتناص عنده ظاهرة يصعب ضبطها، لكن ما يجدر الإشارة إليه هو الشق الثاني من التعريف وهو ثقافة المتلقي، حيث يجب أن يكون في رصيده موروث ثقافي من النصوص وزاد معرفي لكي يحيل مباشرة إلى النص الأصلي.

2-نماذج مختارة

2-1-قبسات من القرآن

لطالما كان القرآن الكريمكلام الله عزوجل منبراً يستوقف قارئيه ودارسيه لما فيه من ألفاظ قوية المعنى والمدلول، وأيات فيها من الإعجاز العلمي الذي يأسر العقول والقلوب كيف وهو معجزة سيدنا وحبيبنامحمد صل الله عليه وسلم، وهذا ماكان مع أمير الشعراء، الذي تجلى تأثره بالقرآن الكريم في أبيات من قصيدته «قبسات من القرآن»[2] إذ يقول الشاعر بوشكين:

أقسم بالشفع والوتر

أقسم بالسيف وبالحرب المحقة

أقسم بنجمة الصباح

أقسم بصلاة المساء.

ظهر جليا تأثر بوشكين بأسلوب القسم الموجود في النص القرآني لما يضفيه من دلالة لغوية وقوة في المعنى والتناص يظهر مع **ألية التكرار** من خلال تكرار كلمة (اقسم)، ففي البيت الأول مطابقة للآية الكريمة من سورة الفجر[3] في **المضمون** والإستعمال كما ورد في تفسير السورة المكية [4] يقول الله تعالى:

---

[1]محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري(إستراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي، ط3، 1992، الدار البيضاء، المغرب، ص:131.

[2]الكسندر بوشكين، القصائد الشرقية، تر، طارق مردود، ص:27.

[3]القران الكريم، سورة الفجر، الاية 1، 2، 3.

[4]عائض القرني، التفسير المسير، ط4، 1431ه-2010م، مكتب العبيكان، الرياض، ص:592.

وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾
هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾

وأقسم بالسيف وبالحرب المحقة لإدراكه قداسة الحروب من اجل إعلاء راية الله ورسوله الكريم، وأقسم بنجم الصباح وهي وقت الفجر لبركة التعبد في هذا الوقت، وأقسم بصلاة المساء التي يقصد بها صلاة الليل لما لها من فضل عظيم، وفي مجملها تأثر بعظمة ما أقسم به الله عز وجل في أياته وبفضل الأعمال والعبادات الخالصة لوجهه من جهاد في سبيله وقيام ليله وإحياء أفضل الأوقات بالذكر والعبادة.

ويتابع الشاعر :

لا، أنا لم أهجرك

من ترى في ظل الظمأنينة

أدخلت، محبا شخصه، وحميت من العسف المبين؟

ألست أنا يوم السغب

من سقاك مياها صحراوية؟

الست من أعطى لسانك

سلطانا عظيما على العقول ؟

نلاحظ تناص الشاعر لمطلع سورة الضحى،يقول عزوجل

وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾

في البيت الأول _لا،أنا لم أهجرك_ ان الله عز وجل لايتخلى عن نبيه محمد صل الله عليه وسلم،وكما ورد "أن الباري سبحانه ماتركك أيها النبي، وما أبغضك بإبطاء الوحي عنك"[1].

وفي الأبيات التي تلته سرد لحادثة هجرة سيدنا وحبيبنا محمد صل الله عليه وسلم رفقة سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه ونجاتهم بفضل الله من الكفار الذين تعقبوهم بتأييدهم بجند من جنوده فأنزل عليهم السكينة و الطمأنينة وحماهم في صحراء قاحلة مليئة بالأخطار،ووهب نبيه ُ لسانا مبينا حتى ليخلب ألباب سامعيه. والوارد في سورة التوبة[2]

إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ
ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ
كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾

والواقع أن بوشكين في تناصه الامتصاصي، يؤكد على صموده بوجه الأعداء ويزدري المخادعين وخاصة مآل إليه أصحاب الحركة الديسمبرية.

تشجع وأهجر الباطل

إتبع بشجاعة طريق الحق

أحب اليتامى وقرآني.

[1] عائض القرني، التفسير المسير، ص:596.
[2] القران الكريم، سورة التوبة، الاية:40.

نلاحظ في الأبيات أنها تحيلنا في معناها إلى الآية الكريمة من سورة العلق[1] في قوله عزوجل

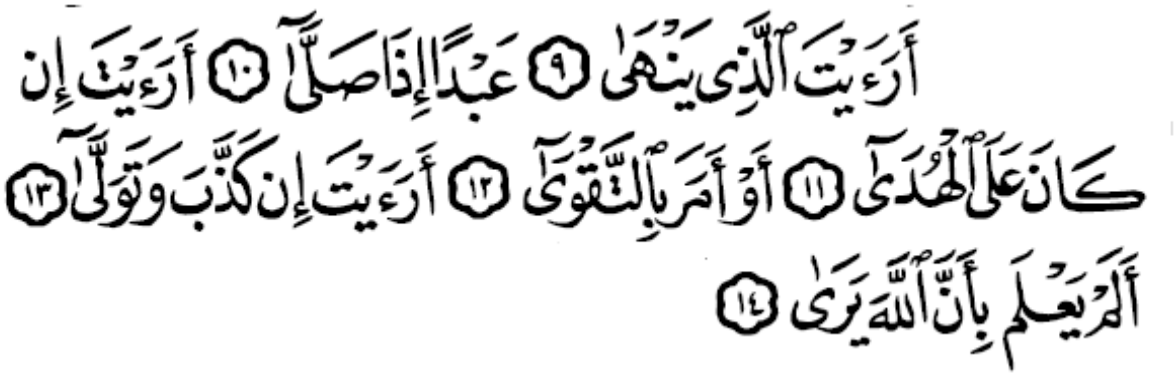
أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيْتَ إِن
كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝١٢ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١٣
أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤

فالله سبحانه وتعالى يأمر رسولنا الكريم محمد صل الله عليه وسلم بإتباع طريق الحق ولا يغتر بقلة السالكين له،وعليه أن يحب اليتامى ويجعل القران الكريم سندا له .

وفي المقطع الثاني الموالي :

يانساء النبي الطاهرات

أنتن عن كل النساء مميزات

شديد عليكن ظل النقيصة

في الظل الجميل للسكينة

عشن بتواضع: فرض عليكن

أيتها العذارى الحجاب.

أحفظن القلوب الأمينة

جديرات بالحنان محتشمات

كي لاتلامس وجوهكن

نظرات الأرذال الماكرة.

[1]سورة العلق، الاية:8-9-10.

ففي ترجمة طارق مردود لهذا المقطع[1] يلاحظ أن بوشكين متأثر بقوله تعالى[2]

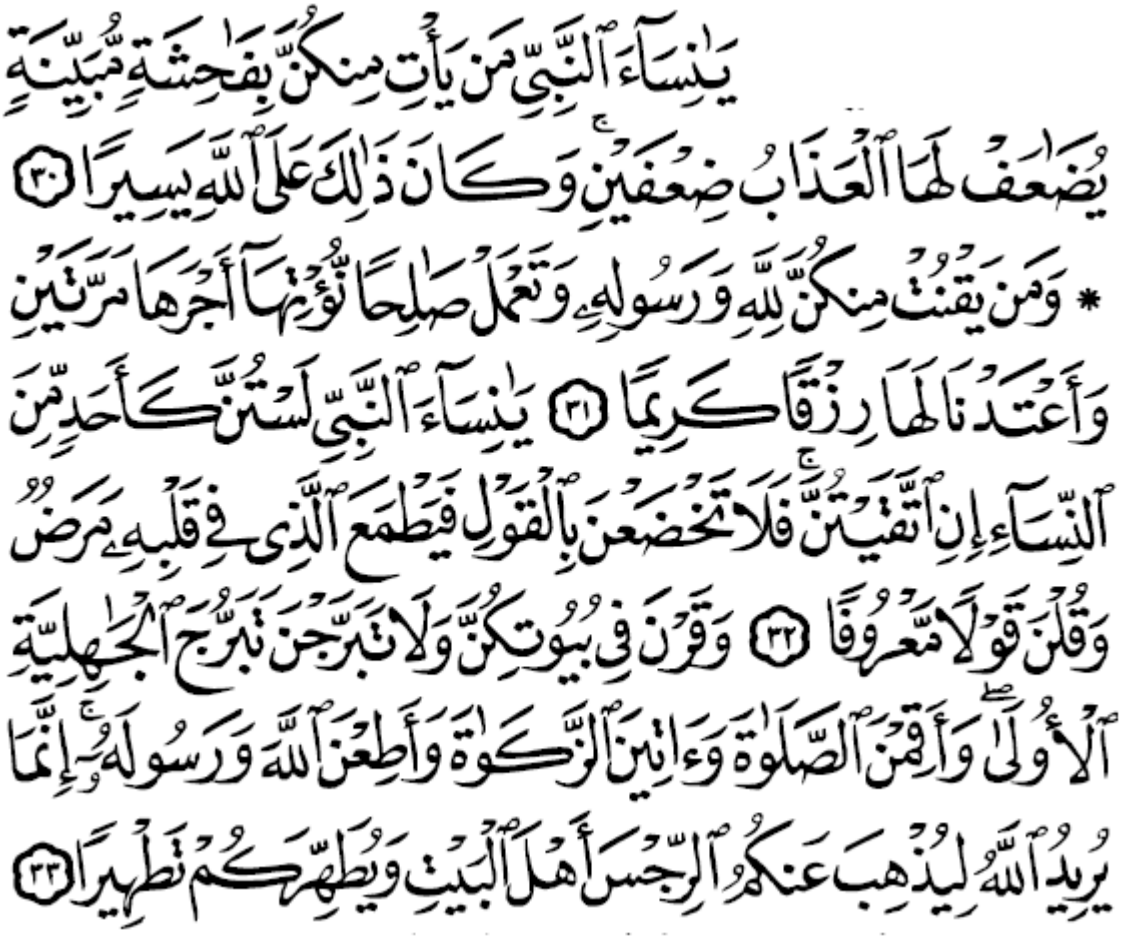
يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ
يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ٣٠
* وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ
وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا ٣١ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ
ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ
وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٣٢ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ
ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا
يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ٣٣

ففي هذه الأبيات ينوه الشاعر بطهارة نساء النبي ويخاطبهن بصيغة صريحة على أنهن لسن في الفضل والمنزلة كغيرهن من النساء، إن عملن بطاعة الله ورسوله وابتعدن عن معاصيه، فلا يتحدثن مع الأجانب إلا من وراء حجاب ولا بصوت لين يطمع الذي في قلبه فجور، ولا يظهرن محاسنهن، وفي الأبيات تأثر واضح للشاعر بتعاليم ديننا وما يتوجب على امرأة تؤمن بالله واليوم الأخر، وهو خطاب للنساء المؤمنات في كل عصر .

لأي شئ ترى يتكبر الإنسان؟

ألا انه عار على الدنيا ظهر

أم لأنه تتسم الهواء حينا

[1] الكسندر بوشكين، القصائد الشرقية، تر، طارق مردود، ص:27.

[2] القران الكريم، سورة الاحزاب، الاية، 32_33.

أم لأنه يموت ضعيفا، كما أنه ضعيف ولد؟

هل لأن الله يميته

ثم يبعثه بإرادته؟

أم لان السماء تحفظ أيامه

سواء في الأفراح أم في الزمن العصيب؟

هل لأنه منحه الثمار

والقمح والتمر والزيتون،

مباركا أعماله،

والحدائق والتلال والحقول؟[1]

عند قراءتنا لهاته الأبيات التي في مجملها تساؤلات عن سبب جحود وكفر الإنسان بربه بالرغم من كثر النعم عليه، وكذلك دلائل قدرة الله تعالى في هذا الكون، تستوقفنا سورة عبس[2] لقوله تعالى:

قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ١٧ مِنۡ أَيِّ
شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ١٨ مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ١٩ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ٢٠ ثُمَّ
أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ ٢١ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ٢٢ كَلَّا لَمَّا يَقۡضِ مَآ أَمَرَهُۥ ٢٣
فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ٢٤ أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا ٢٥ ثُمَّ شَقَقۡنَا
ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا ٢٦ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ٢٧ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ٢٨ وَزَيۡتُونٗا
وَنَخۡلٗا ٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ٣٠ وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا ٣١

[1] الكسندر بوشكين، القصائد الشرقية، تر، طارق مردود، ص:30_31.

[2] القران الكريم، سورة عبس، الاية، 17-31.

ففي مطلع الأبيات بدى الشاعر متأثرا بأسلوب التساؤل في النص القرآني ثم عد لنعم الله على الإنسان وهذا الذي نجده في النص القرآني من نعم للمتقين وعذاب متعدد الكيف للمكذبين.

ويواصل بوشكين في أبياتهقائلاً :

لكن الملاك ينفخ في البوق مرتين،

فيدوي على الأرض رعد السماء:

فيهرب الأخ من أخيه

ويتبرأ الابن من أمه[1]

في الأبيات يصف الشاعر أهوال يوم الحساب وما يميزه من أحداث عظيمة من نفخ في البوق من الملك المكلف وصعق للخلائق من شدة الصوت وانشغال كل بأمره فلا اخ يكترث لأمر أخيه ولا ابن لأمر أمه وهو ما تتضمنه الآيات من سورة عبس[2] وقوله تعالى:

فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾
وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾
وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا
غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾

وفي المقطع نفسه يقول الشاعر:

كل شئ أمام الله يحضر

مشدوها بالرعب

[1] الكسندر بوشكين، القصائد الشرقية، تر، طارق مردود، ص:31.

[2] القران الكريم، سورة عبس، الآية، 32_37.

ويتهاوى الكافرون

يلفهم الغبار واللهب

ففي هاته الأبيات يصف بوشكين موقف مثول الخلق أمام الواحد القهار وكلهم رعب من هول ماوجدو ونيل الكافرين جزاءهم من النار .

وكما ورد في كتاب التفسير"فإذا جاءت صيحة البعث يوم القيامة التي تصم من هولها الأسماع، يوم يفر المرء لهول ذلك اليوم من أخيه، وأمه وأبيه، وزوجه وبنيه.لكل واحد منهم يومئذ أمر يمنعه من الإنشغال بغيره."[1]

وفي المقطع الخامس يقول:

أوقدت أنت الشمس في الكون

لتنير السماء والأرض،

كزيت الكتان مملوء

ينير في بلورة القنديل.[2]

في المقطوعة السابقة تناص مع الآية القرآنية من سورة النور[3] قول الله تعالى:

اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ
فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۖ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ
يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا
يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ۗ
وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾

[1] عائض القرني، التفسير المسير، ص:585.

[2] الكسندر بوشكين، القصائد الشرقية، تر، طارق مردود، ص:31.

[3] الكسندر بوشكين، القصائد الشرقية، تر، طارق مردود، ص:31.

استهل الشاعر هذا المقطع بخطاب رب العزة بِاستعماله ضمير المفرد المخاطب (أنت) ليقر بفضله على خلقه من شمس تنير السماوات والأرض وتشبيهها بزيت الكتان الذي ينير في مصباح بلوري الزجاج، والمراد بنور السماوات والأرض في الآيات الكريمة هو نور الله عز وجل، الذي أنار السماوات والأرض ولم يقتصر ذكر النور على الضوء، بل تعدى معناه إلى نور الهدى الذي يهدي به الله من يشاء وتمثيل نور المصباح بنور الله عز وجل من الأمثلة الكثيرة الموجودة في القران والمراد بها تبيان معجزة الرحمان في خلقه ونعمه التي لابد للمؤمن الصادق أنيعددها ويُحدث بها، وأن يشكر الله على نعمه ويحمده ويصلي لمن يصرف الرياح ويرسل السحاب ويقي خلقه من حر الشمس بظل شجره وغيرها من النعم. وهو ماوافقه بُوشكين في الأبيات الموالية إذ يردف قائلا:

صلوا للمبدع، فهو قادر:

يصلح بالريح، في اليوم القائظ

يرسل على السماء السحاب

يهب الأرض ظلا شجريا[1]

وفي المقطع الأتي:

سعداء الذين سقطوا في المعركة

دخلوا بعد ذلك في عدن

وغرقوا في النعيم

غير مكدرين بشئ.[2]

يرثي الشاعر في هاته الأبيات الثوار الذين استشهدوا في سبيل الدفاع عن قضيتهم بعد أن لا قوا كل أشكال القمع والاستبداد من إعدام ونفي بحكم انتماءهم للحركة الديسمبرية

[1] المرجع السابق، ص:31.

[2] الكسندر بوشكين، القصائد الشرقية، تر، طارق مردود، ص:31.

التي شهدت معاداة شديدة في عهد نيفولا الأول ويبين الشاعر المكانة الرفيعة لشهداء الحركة مقتبسا من قوله عز وجل في سورة آل عمران[1]:

وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾

فيصفهم بوشكين بالسعداء الذين يدخلون جنات عدن والنعيم وهي من أعلى مراتب الجنة التي ذكرها القران الكريم.

وفي المقطع السابع:

انهض أيها الوجل:

في كهفك

المصباح المقدس

يشتعل في الصباح

بصلاة قلبية

أبعد أيها النبي

الأفكار الحزينة

والأحلام الخبيثة !

بتواضع حتى الصباح

أقم الصلاة

واتل الكتاب السماوي حتى الصباح! [2]

الأبيات التي بين أيدينا تجلى فيها التناص في قوله تعالى:

[1] القران الكريم، سورة آل عمران، الاية. 169

[2] الكسندر بوشكين، القصائد الشرقية، تر، طارق مردود، ص:31.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤
وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧

في النص القرآني خطاب للمدثر بمعنى المتغطي بثيابه والمعني بالخطاب سيدنا وحبيبنا محمد صل الله عليه وسلم،وقد جاء النداء وماتبعه من خطاب" أن تخص ربك وحده بالتعظيم والتوحيد والعبادة،وطَهِّر ثيابك من النجاسات؛ فإن طهارة الظاهر من تمام طهارة الباطن، وذُم على هَجْر الأصنام والأوثان وأعمال الشرك كلها، فلا تقربها ولا تُعط العطيَّة؛ كي تلتمس أكثر منها، ولمرضاة ربك فاصبر على الأوامر والنواهي"[1].

وقد جاءت السورة المباركة في معناها أن تبليغ الدعوة الإسلامية يحتاج من الدعاة إلى طهارة القلب والنفس والبدن من كل شيء قبيح؛ حتى يكونوا قدوة لغيرهم.ونجد ماتصب فيه قصيدة بوشكين متوافق تمام التوافق مع معاني السورة الكريمة.

وفي القصيدة الثامنة يقول بوشكين:

مساوما بضميرك أمام الأعمى الفقير

لاتنثر هداياك بأيد حريصة:

فالكرم صفو كامل للسماوات

في يوم الحساب العسير، مثل حقل خصيب

ياباذراً موفقاً !

سيكافئ بالخير العميم جهودك

ولكن إذا انقضت هديتك الحاسدة

متأسفاً على مكاسب الأعمال الدنيوية

معطيا للفقير صدقة بخيلة

[1] عائض القرني، التفسير المسير، ص:592.

فلتعلم: كل أعطياتك مثل حفنات من تراب

تغسل عن الصخور بوابل

وتختفي صدقة مرفوضة من الرب[1]

يحاول بوشكين أن يبين فكرة العطاء وأنها صفة تجسد الكرم وهذا الأخير يجب أن لا يساوم ولا يعطي المال بيد بخيلة، لان في يوم الحساب العسير سيأتي الكرم شاهدا مثل الحقل الخصيب، ثم يخاطب الكرماء ويصفهم بناثري الخير لذلك عليهم أن لا يتأسفوا حين يعطون فإن عطاء البخيل المتبع بالأسف والندم والأذى سيكون أشبه بحفنة تراب ملتصقة بحجارة جاء عليها مطر غزير فأزالها من موضعها،وعمله سيكون موفوضاعند الله عزوجل ومن دون نفع أو أجر يجزى به.

نجد أن بوشكين في نصه تأثر بقوله عزوجل من سورة البقرة[2] :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي
يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ
صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ
شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٤﴾

تشير الآية الكريمة إلى أن الله عزوجل ينادي على الذين أمنوا "ألا تذهبوا ثواب ماتتصدقون به بالمن والأذى، هذا شبيه بالذي يخرج ماله ليرام الناس، فيثنوا عليه، وهو لايؤمن بالله ولايوقن باليوم الأخر ، فمثلُ ذلكَ مَثَلُ حجر أملس عليه تراب هطل عليه مطر غزير فأزاح عنه التراب، فتركه أملس لاشئ عليه، فكذلك هؤلاء المراؤون تضمحلُ أعمالهم عند الله، ولايجدون شيئاً من الثواب على ما أنفقوه والله لا يوفق الكافرين لإصابة الحق في

[1] الكسندر بوشكين، القصائد الشرقية، تر، طارق مردود، ص:36.
[2] القران الكريم، سورةالبقرة، الاية، 264.

نفقاتهم وغيرها."[1] لنا أن نعود الي نص بوشكين وتناصه من القران الكريم ونجد أنه استلهم قضية الكرم والإنفاق على الفقراء في ظل الظروف التي مرا بها شعبه في تلك الفترة وماعاناه الشعب الروسي والفلاحين منهم.

وفي المقطع التاسع **يستحضر قصصا قرآنية** ،ويروي لنا بوشكين قصة رجل مسافر في الصحراء أنهكه التعب وظل طريقه في مدة ثلاثة أيام وهو تائه، ونتيجة ذلك امتلأت عيناه غباراً ولم يعد له أمل وفي لحظة يرى نخلة تحتها بئر.

مسافرٌ تعب إلي ربه ابتهل:

عطشاً أنهك وظلالا أمل

تائهاً ثلاثة أيام وثلاث ليال

قيضا وغبارا أثقلت عيونه

بكآبة طاف منه الجوار بلا أمل

يرى فجأة بئرا تحت نخلة[2]

وفي لحظة فرح ينطلق الرجل مسرعاً نحو النخلة قاصداً، يروي عطشه، ومن شدة التعب استلقى وغفا في الصحراء ومضت عليه سنين وبمشيئة الله تعالى، مالك السموات والأرض.

متشوقاً ركض إلي النخلة الصحراوية

وانعش بتيار بارد

عينيه ولسانه الملتهبة

واستلقى ثم غفا قرب أتانه المخلصة

[1] عائض القرني، التفسير المسير، ص:44.

[2] الكسندر بوشكين، القصائد الشرقية، تر، طارق مردود، ص، ص:36، 37.

وانقضت عليه سنون عديدة

بإرادة مالك السموات والأرض[1]

وفي المقطع الموالي يصف الشاعر لحظة استيقاظ المسافر، وتساله هل مكثت طويلا وكيف غفوت في الصحراء بعمق، يسمع صوتاً خفياً في الصحراء، يقول أنك أيها المسافر قد نمت طويلا،فنظر فقد نمت شابا وقد أصبحت شيخا وأنظر إلي حمارك فقد ابيض عظمه وفنيت النخلة وجف البئر وردمته الرمال.

حانت ساعة ايقاظ المسافر

ينهض فيسمع صوتاً خفياً :

طويلاً ترى غفوت في الصحراء بعمق؟

فيجيب: هاهي الشمس عالية

سطعت من سماء الصباح البارحة

منذ الصباح استغرقت في النوم حتى الصباح

لكن الصوت: يامسافر، نمت أطول

أنظر تمت شاباً وهاقد صرت شيخاً

النخلة فنت، والبئر البارد

نضب وجفف في صحراء مجدبة

وردمته رمال السهوب من زمن

وأبيضت عظام أتانك.[2]

ويقول الشاعر في المقطع الأخير من القصيدة:

مأخوذاً بالرعب المفاجئ هاهو الشيخ

منتحباً، هازاً رأسه ظهر....

[1] الكسندر بوشكين، القصائد الشرقية، تر، طارق مردود، ص:37.
[2] المرجع السابق، ص:38.

وعندما تحققت في الصحراء معجزة:

عاد الماضي للحياة في لون جديد

من جديد تنشر النخلة رأساً ظليلاً

من جديد يمتلئ البئر برداً وسديماً

وتنهض عظام الأتان البالية

وتكتس لحماً وتنهق

ويشعر الشيخ قوة و سعادة

جرى في عروقه الشباب المنبعث

ملأت البهجة المقدسة الصدر:

وفي أمان الله ينطلق في الطريق بعيداً[1]

في الأبيات السابقة يصف الشاعر حالة الرعب التي أصابت الشيخ وذلك نتيجة معجزة إلهية، فمن خلال **الأسلوب المتكرر** الدال على إعادة عملية الخلق، وذلك بعودة كل شئ كما في السابق، من إحياء النخلة وامتلاء البئر وعودة الحياة إلى حماره وعودة الشيخ إلى شبابه وسعادة وقوة إيمانية روحانية ملأت صدره.

وفي أمان الله يواصل طريقهُ.

وفي إطار **المفارقة** تظهر ثنائيات بوشكين، وذلك لتعزز البعد الدلالي في القصيدة فنجد ثنائية الصغر والكبر (الشيخ -الشاب)، وثنائية الموت والحياة (فنت-تنشر).

واللافت في الأمر أنه اعتمد **آلية التمطيط**[2] في قوله (منتحباً، هازاً رأسه ظهر....)، التي تستدعي القارئ على التخمين في حال الشاب.

[1] المرجع السابق، ص:38.

[2] محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري(إستراتيجية التناص)، ص:126.

فمن خلال عرضنا لأبيات القصيدة التاسعة، نجد أن **تراكيب** بمثابة وهج دلالي يشير إلى تناص مع الآية من سورة البقرة [1] في قوله عزوجل:

أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ
أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ
لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ
إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً
لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ
قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾

إن القارئ لقصيدة (قبسات من القرآن) لبوشكين يظهر له بوضوح حرص الشاعر على توظيف التراث الديني في شعره فالنصوص القرآنية والمعاني المستوحاة من القران الكريم كثيرة والإيحاءات والأفكار متعددة، ولعل السبب في ذلك يعود إلي ثقافته الإسلامية، وهذا مامكنه من إستوعاب جميع القضايا الدينية.

2-2-النبي:

إن تأثر بشخصية الرسول محمد صل الله عليه واله وسلم بارز وتعدد بالحضور في عدة نصوص،إذ يقول بوشكين في قصيدة له بعنوان (النبي):[2]

مهموما بالظمأ الروحي
تعذبت في الصحراء مدلهمة
ظهر لي عند مفترق الطرق

[1] القرآن الكريم، الاية، 259.
[2] الكسندر بوشكين، القصائد الشرقية، تر، طارق مردود، ص:44.

سداسي الأجنحة سيرافيم

وبأصابع خفيفة كالحلم

لمس مقلتي

تفتحت الأحداق النبوية

كما عند النسور الفزعة

لمس أذني

وملأها ضجة ورنينا

فسمعت ارتجاج السماء

وطيران الملائكة العلوي

ومرور زواحف البحر تحت الماء

وتطاول الدوالي في خمول

التصق بشفتي

وانتزع لساني الخاطئ

الماكر الثرثار،وادخل بيمناه المدماة

ناب أفعى شجاعة

في شفتي المتجمدتين

شق صدري بالسيف

وانتزع قلبي المختلج

وغرس إبرة محماة بالنار

في صدري المفتوح

ارتميت مثل جثة في الصحراء،

أرسل الرب صوتا إلى:

انهض يابني وانظر واستمع
نفذ إرادتي
وعابرا البحار والأرض
ألهب بصوتك قلوب الناس[1].

يروي لنا بوشكين في هذه الأبيات، بداية إرهاص شئ عظيم للإنسانية جمعاء التي كانت في ظلمةٍ أخلاقّية، وضلالٍ عقدي، وتيهٍ فكريّ؛ ، ثم جاء الإسلام وبمحمد صل الله عليه وسلم مبشرا للإنسانية جمعاء ، وعلى حد قول الشاعر (ألهب بصوتك قلوب الناس).

يشير بعض الدارسين "أن بوشكين قد استقى حادثة شق الصدر"[2] المعروفة التي توردها كتب السيرة النبوية والتي اطلع عليها في ترجمتها باللغة الروسية، وتأثر بماجاء فيها من قيم ومبادئ على غرار تلك المستقاة من حادثة شق الصدر فقد "روى عن عتبة بْنِ عَبد السلَمي رضي الله عنه أَنَّ رَجُلا سَأَلَ رَسُولَ اللَّه صل الله عليه وسلّم فَقَالَ :كَيفَ كَانَ أَولُ شَأنكَ يا رَسُولَ اللَّه ؟قَالَ : كَانَتْ حَاضِنَتِي من بَنِي سَعدِ بنِ بَكْرٍ،فَانْطَلَقْتُ أَنا وَابْنٌ لهَا فِي بُهْمٍ لَنا،ولَمْ نَأْخُذْ مَعنَا زَادًا،فَقلْت يا أَخِي اذهَبْ فَأْتِنا بزَادٍ مِنْ عِنْد أُمنا،فَانْطَلَقَ أَخِي، ومَكَثْتُ عِنْدَ الْبُهمِ، فَأَقْبَلَ رَجُلانِ أَبْيَضَانِ،فَقَالَ أَحَدُهُما لِصَاحِبِه أَهوَ هُو؟قَالَ : نَعَم! فَأَقْبَلا يَتَدَرانِدي،فَأَخَذَانِي،فَبَطَحَانِي إِلَى الْقَفَا،فَشَقَّا بَطْنِي،ثُمَّ اسْتَخْرَجَا قَلْبِي،فَشَقَّاه ،فَأَخْرَجَا مِنْهُ عَلَقَةً سَوْدَاءَ،فَقَالَ أَحَدُهُما لِصَاحِبِه ائْتِنِي بِمَاءٍ ثَلْجٍ.فَغَسَلا بِه جَوْفِي وقَلْبِي ثُمَّ انْطَلَقَا وتَرَكَانِي، وفَرِقْتُ فَرَقًا شَدِيدًا،ثُمَّ انْطَلَقْتُ إِلَى أُمي،فَأَخْبَرتُهَا بِالَّذِي لَقِيتُه"[3]

[1] الكسندر بوشكين، القصائد الشرقية، تر، طارق مردود، ص:45.
[2] الكسندر بوشكين، القصائد الشرقية، تر، طارق مردود، ص:42
[3] شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، تح، محمد بن عيادي بن عبد المنعم، ط1، 1424ه/2003م، مكتبة الصفا القاهرة، ص:28.

وقد عمد الشاعر إلي آلية أخرى في رسم علاقاته التناصية، ذات المرجعية القرآنية، وهي **آلية التمطيط،**[1] إي التناص مع النص السابق بشكل واضح وصريح، فيدور حول الفكرة (حادثة شق الصدر)، ثم يشرحها بشكل أكثر تفصيلا ودقة، بحيث يستطيع القارئ فهم الموضوع دون كلل.

نلاحظ أن قصيدة النبي تضمنت مفردات ذات بعد ديني وألفاظ وكلمات اقتبسها من السيرة النبوية، وهذا يدل على الثقافة الغزيرة التي يمتلكها الشاعر، فقد قام بامتصاص دلالات المفردات المتناصة وذلك لإعطاء الخطاب الشعري قيمة فنية لها تأثير عميق في نفس المتلقي.وهذا التوجه لدى الشاعر هو توجه واع ومقصود.

2-3-مسلم فقير

كتب بوشكين هذه القصيدة عام 1821م، وهي ترجمة حرة عن حكاية شعرية للشاعر الفرنسي بوردو ندي سينيني عنوانه «القشدة»،ففي مطلع القصيدة[2] يقول:

منذ وقت عاش في يورزوف.

مسلم مع أولاده وزوجه.

بروحه قرأ القران المقدس.

وكان سعيدا بقدره.[3]

يشير إلي شخصية المسلم الذي يعيش مع عائلة بسيطة متمسكة بمفتاح السعادة آلا وهو القرآن، نجد أن هذا المسلم الشرقي (محمد) يقرأ القران بقلبه لابلسانه فقط، وأضاف صفة(المقدس)لأنه يعتبر أمرا يستحق الاحترام الروحي وهو شئ عظيم للمسلمين لايقبل أن يدنس، فقد ذكر في الشطر الثالث:بروحه قرأ القران المقدس وفي الشطر الموالي: وكان سعيدا بقدره، هذا يبين لولا القران لما كان سعيدا وراضيا بقسمه في الحياة.

[1]محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري(إستراتيجية التناص) ، ص:132.
[2]الكسندر بوشكين، القصائد الشرقية، تر، طارق مردود، ط1، 1999م، منشورات دار علاء الدين، دمشق، ص:80.
[3]الكسندر بوشكين، القصائد الشرقية، تر، طارق مردود، ص:81.

وهنا بوشكين يبين مدى تمسك المسلم الشرقي بدينه(الإسلام).ويجسد معرفته بالرجل الشرقي المسلم (محمد) على انه إنسان مسالم، مُجد ومفعم بالحركة والعمل إذ يقول:

محمد، هذا هو اسمه، يرعي

بجد كل اليوم النحل والقطيع.

لم يعرف ماهو الكسل.[1]

ويتابع بوشكين قصيدته في إبراز مكانة المرأة في المجتمع الشرقي وتميز علاقتها بزوجها، من احترام متبادل ومودة ورحمة تعزز ترابطهما ويذكر أنه من الأعراف الشرقية أن تضع المرأة مولود كل سنة وهو مخالف لأعراف الثقافة الروسية ويشبه هاته الأعراف كتلك المعروفة عند الماغول أو التتار الذين يحسدون المرأة الشرقية على ذلك لان كل مولود في نظرهم هومحارب سيغزو مستقبلا لتوسعة أراضيهم.

من منطلق ذلك أن صورة الأخر يمكن أن تعبر أيضاً عن أشياء حول الثقافة الأصلية الثقافة الناظرة ويستحضرنا في هذا الموضوع سنة نبينا وحبيبنا محمد-صلى الله عليه وسلم- الذي شجع على الزواج على سنته والحكمة منه ليزيد المسلمين قوة وانتشاراً ، فيكون من أولئك الذرية القادة المصلحون، والعلماء المتفقهون،والجنود المجاهدون، وغيرهم ممن يرفع شأن الأمة، ويعلوا مجدها ويقوي عزها ففي حديث رسول الله :تناكحوا تناسلوا تكاثروا فإني مُبَاهٍ بكم الأمم يوم القيامة.

أحب زوجته عرفت ذلك فاطمة

وفي كل سنة ولدت له طفلاً

بعرفنا أصدقائي هذا مضحك

ولكن عند التتر -هذا يحسد عليه

مرة فاطمة كانت وقتها

[1] المرجع السابق، ص:82.

حامل في الشهر الثالث، والكل يري

قالت لزوجها بحنان:

عزيزي، أشتهي بشدة القميص

حتى إني أفقد رشدي وعقلي

وتحترق أيضا معدتي

لم أنم طوال الليل وانظْر ياروحي

أنا اليوم بالتأكيد لست على مايرام

لاأستطيع حتى ان أمتشط

ولكي لاألد صغيراً على أنفه قشده

مثل هذا العذاب لن أتحمله

أيها اللطيف،الحنون، الجميل،صديقي

أحصل لي على القيمق ولو قطعة صغيرة.

انصاع محمد، تهيأ وأخذ

في كيسه صحناً سميكاً

بارك الأطفال، قبل الزوجة

وركض مسرعا إلى السهل القريب

لكي يرضي المريضة

لم يمش بل هو طار.[1]

يروي الشاعر في الأبيات السابقة كيف كانت فترة الحمل لفاطمة و اشتهاءها للقشدة واحترام زوجها (محمد) لطلبها وبدى بوشكين متأثرا بمعاملة الرجل الشرقي لزوجته وهذا لمكانة المرأة الرفيعة والتي كرمها ربنا وأوصى عليها رسولنا الكريم باحترامها

[1]ينظر: الكسندر بوشكين، القصائد الشرقية، تر، طارق مردود، ص:83.

ومعاملتها بالرفق واللين بقوله صل الله عيه وسلم :«فاستوصوا بالنساء خيرا» فقد عمد الشاعر باعتماد أسلوب الإحالة إلى شخصية بذكر صفاتها وما ميزها دون ذكرها مباشرة، فمحمد رمز الصدق والأمانة وخير منهج نبوي في التعامل مع المرأة، كما وظف بوشكين أسماء عربية إسلامية من محمد وفاطمة.

كذلك لنا أن نشير إلى عنوان القصيدة«مسلم فقير» في بادىء الأمر لونظرنا للعنوان لأطلقنا حكما هو أن القصيدة تتناول قصة مسلم يعيش حياة البؤس والشقاء و صراع دائم مع الحياة ومشقاتها، لكن في متن القصيدة نجد عكس ذلك.فقد تناولت أن المسلم غنى النفس قانع وراضي بما رزقه الله، فلا يحرص على الازدياد لغير حاجة ولا يلح في الطلب ولا يلح في السؤال، وكأن بوشكين في هذا النص حاول أن يكسر أفق التوقع للقارئ ومن ناحية أخرى حاول أن يصحح صورة المسلم عند الغرب.

2-4-أسير القوقاز:

قصة شعرية كتبها بوشكين عامي1820_1821م متأثرا بزيارته الأولى للقوقاز، ويحكي فيها قصة أسير روسي وقع في يد الشركس، وهي حكاية سمعها بوشكين في تلك الزيارة فصاغها شعرا، لكن في مجملها تروي معاناة بوشكين في بداية نفيه.[1]

يقول الشاعر:

في القرية على أعتابهم

يجلس الشركسي خاملين

أبناء القوقاز يتحدثون

عن القلاقل الحربية المهلكة

عن جمال خيولهم

وعن هناء النعيم البري

[1]الكسندر بوشكين، القصائد الشرقية، تر، طارق مردود، ص:86.

يتذكرون الأيام الخالية

والغزوات الماحقة

حيل الأمراء المخادعين

وضربات سيوفهم الظالمة

دقة رمايتهم التي لاتخيب

تجري الجلسات في صفاء

القمر يسبح في الضباب الليلي

في مطلع القصيدة يحدثنا بوشكين عن أهل الشركس مُذكرا بأصلهم القوقازي وهم يتسامرون تحت ضوء القمر مطمئنين في جو بهيج يتفاخرون بجمال خيولهم ودقة رميهم وسعادتهم بحياتهم وماحققوه مُن نصر

ضد الأمراء الروس الظالمين حسبهم.

يواصل الشاعر في الأبيات الموالية:

لكن كل الانتباه الأوروبي

جذبه ذلك الشعب العجيب

لاحظ الأسير بين الجبلين

إيمانهم وعاداتهم وأخلاقهم

أحب بساطة حياتهم

كرمهم وتعطشهم للقتال

سرعة حركتهم الحرة

وخفة أرجلهم وقوة سواعدهم

شاهد لساعات كاملة

كيف، أحياناً ، الشركسي الرشيق

بخطوة واسعة عبر الجبال

بقبعة كثة الفرو، بعباءة لباد سوداء

مائلًا إلى منعطف النهر، في التيار المندفع

متدبراً بساقين ممشوقتين

يطير على حصان أصيل

إلى الحرب، يشارك فيها باكراً

تعجب من جمال الثياب

مزخرفة وبسيطة

الشركسي مدججاً بالسلاح

تفاخر به، وبه استكان

عليه درعُ وجراب سهام وبندقية

وقوس كوباني وخنجرُ وحبل أنشوطة

وسيفُ، الصديق الأبدي

في أوقات فراغه وعمله

لاشئ يضايقه

لاشئ يزعجه: راجلاً، فارسا

دائما هو كذلك، دائما نفس المظهر

لاينهزم، لايخضع[1]

يعدد الشاعر في هاته الأبيات الخصال التي لاحظها على أهل القوقاز لما كان أسيرا والتي إجتذبت إليها أنظار الدول الأوروبية آنذاك .إذ أنه رغم بساطة حياتهم كانوا متمسكين بعاداتهم ومؤمنين بقضيتهم التي كانت سببا لتعطشهم للقتال. فقد أعجب

[1]الكسندر بوشكين، القصائد الشرقية، تر، طارق مردود، ص، ص:104، 105.

الشاعر بشعب الشركس موضحا في أبياته أن بطل قصيدته هم أهل القوقاز وشعبها و بالرغم من صعوبة الحياة البرية في تلك الجبال الوعرة، إلا أنهم صامدون أمام كل من يتجرأ على إلحاق الضرر بهم. فالرجل الشركسي في استعداد تام لايعرف الهزيمة ولا الإستسلام مولع بالحرية ومفتخر بمعداته التي ترافقه في كل أوقاته.

وفي المقطع الموالي يقول بوشكين:

عندما يجلس الشركسي في موطنه
مع عائلته امناً
في أوقات المطر
ويتجمر الفحم في الموقد
يكمن في الجبال الجرداء ساهرة
مع حصان أمين
يدخل عليه طارق متعب
يجلس على النار من وجل
عندها ينهض رب البيت
ملاطفا إياه بود وتحية
ويقدم للضيف كأسا شبيه
من نبيذ لذيذ
وتحت عباءة لباد ندية، في منزل
مدخن، يتذوق المسافر نوما امنا
ويغادر في الصباح[1]

[1]الكسندر بوشكين، القصائد الشرقية، تر، طارق مردود، ص:159

فالرجل الشرقي المسلم عند بوشكين هو رجل محارب لا يمل ولا يكل، كما أنه تواق للحرية، فبرغم من إنشغالاته، إلا أنه يشارك عائلته اهتمامها ومشاكلها، في جو بهيج مفعم بالراحة والطمأنينة. ولا يقل اهتمامه بضيوفه عن اهتمامه بعائلته بل جعل الضيافة واجب،فوجبأن تفرح بضيفك،وأن تلاطفهُ بحسن الحديث، وتشكَره على تفضله ومجيئه، وتقوم بخدمته، وتظهر له الغنى وبشاشةَ الوجه ليحس فيها الضيف براحة ويشحن فيها عابر السبيل طاقته لمواصلة سفره، وبدى بوشكين متأثِّرا بجود وكرم الضيافة عند أهل الشرق، فمن عُرفَ بالضيافة عُرِف بشرف المنزلة، وعلو المكانة من دون شك.

فالشاعر في قصيدته (أسير القوقاز) اعتمد **آلية الشكل الدرامي**[1]أي القائم على أحداث الصراع الذي ولد توترات عديدة بين كل عناصر بنية القصيدة ، وتكرار صيغ الأفعال، وكل هذا أدى بطبيعة الحال إلى نمو القصيدة فضائيا وزمنياً.

لنا أن نشير إلى عنوان القصيدة «أسير القوقاز» هذا الأسير الروسي الذي اعتقل من طرف الشركس، يبدو لنا في الوهلة الأولى أن هذا الروسي له نظرة سوداوية و تهجمية ضد أهل القوقاز بل على عكس ذلك.وبعد أن كان له احتكاك مباشر بأهل القوقاز حمل عدة انطباعات أو بالأحرى تشكلت لديه نظرة انبهار وإعجاب بكل مايخص الرجل الشركسي من عادات وتقاليد وأخلاق وكذا طبيعة أراضي القوقاز الخلابة وكل ماله علاقة بهم.

فالشاعر كان شديد الإعجاب بالقوقاز وشعوبه كما يبدو في قصائده، بحيث لم يكتف بقصيدة أسير القوقاز، بل أضاف عنوان أخر "وهي قصيدة قصيرة المعنونة ب«**القوقاز**» التي كتبت عام 1829م، بحيث يصف فيها جبال القوقاز وشعوبه"[2].

[1]محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري(إستراتيجية التناص)، ص:127.
[2]الكسندر بوشكين، القصائد الشرقية، تر، طارق مردود، ص:73.

2-5-القوقاز:

في مطلع القصيدة يقول الشاعر:

القوقاز تحتي وحيداً أقف في القمة
أقف على الثلوج عند حدود الجداول
يحلق دون رفيف معي على استواء
نسر، صاعداً من القمة البعيدة
أشاهد من هنا تشكل السيول
وأول حركة الانهدامات الرهيبة
هنا تمشي السحب بدلال أسفل مني
ومن خلالها، متفجرةً ، تهدر الشلالات
وتحتها جلاميد الأجراف العارية
وهناك تحت الطحلب الهزيل شجيرة جافة
وهناك أيضا أدغال، ظلال خضراء
حيث تزقزق الطيور وتتواثب الأيائل[1]

في هاته الأبيات يأخذنا الشاعر فوق جبال القوقاز ليقدم لنا وصفاً رائعاً ودقيقاً لطبيعتها الخلابة، والتي تعانق فيه قمم الجبال سحب السماء وهي مغطاة بالثلوج التي تحلق فيها أسراب النسور ويصف الشاعر مشهد الانهدامات الرهيبة، المرفوقة بهدير الشلالات وصدى الصخور المنهارة من قمم الجبال وغابات خضراء متنوعة بيئيا ففيها من الطحالب وأشجار متعددة الأحجام وطيور مزقزقة وأيائل تسكن هاته الأدغال في وصف شكل لوحة فنية رائعة تبهر قارئ شعره.

[1] المصدر السابق، ص:75.

ثم يواصل الشاعر أبياته، واصفا سكان هذه الجبال والرعاة منهم وكيف تتسلق الأغنام تلك الجبال و بالقرب من ضفاف نهر أراجفا ونهر تيريك الشرس حيث شبه الشاعر نهر تيريك بأنه حيوان يمكنه أن يزأر، وهنا تم ذكر المشبه وهو النهر وتم حذف المشبه به وهو الأسد ولكن أبقى شئ من صفاته وهو الزئير من باب **الاستعارة** المكنية، وأيضا اندفاع هذا النهر وسعيه إلى تجاوز الصخور التي ترسم مساره ويحاول كسر ذلك القفص لينال حريته، فبوشكين اتخذ نهر تيريك " رمزا لسعي نحو الحرية.

هناك حتى الناس يعششون في الجبال
وتتسلق الأغنام عبر الجداول الذهبية
وينحدر الراعي إلي السهول البهيجة
حيث يندفع (أراجفا)* في شواطئ ظليلة
ويختبئ المسافر الفقير في الوادي
حيث يلعب (تيريك)* ببهجة ووحشية
يلعب ويزأر، مثل وحش فتي
رأى الطعام من خلف القضبان الحديدية
ويضرب في الشاطئ في عدواة عبثاً
ويعلق الصخور جائعاً مهتاجاً
عبثاً !ما من طعام له،ولا سلوى:
جلاميد خرساء تهصره بعنف.[1]

2-6-من حافظ:

يمكن أن نلمس انجذاب أُدباء روسيا إلى ما حمله الرَّحّالون والحجاج الروس، الذين أّموا العتبات المقدسة في فلسطين ومصر وسوريا منذ مطلع القرن الحادي عشر

[1]الكسندر بوشكين، القصائد الشرقية، تر، طارق مردود، ص:75.
*أسماء أنهار في منطقة القوقاز.

الميلادي، من انطباعات وخواطر عن حواضر العرب ومعتقداتهم وأعرافهم وميولهم الأدبية، فما كان من نوابغ الشعر الروسي أن خصبوا أشعارهم، بمشاهد تاريخية وأدبية من أطياف البادية ومناقب أهلها، التي غطت سِير شعبية مدونة ومواعظ شعرية على غرار أشعار الفخر والحماسة والفروسية والتمجيد والحِّل والرّحال وما ألفته ديار العرب من قصائد الثأر للكرامة وللدماء المسفوحة. كل هذا أثّر في تصور الشعراء الروس ورؤيتهم عن الوجود والحياة والفناء، التي مازجت الحقيقة بالوهم والواقع بالخيال، فأضحت النصوص العربية والإسلامية ترانيم تزين أشعار الرواد الروس، بغض النظر عن لُبس واقعيتها، وتناثرت في قصائدهم الغنائية أجناس الصور والمعاني المألوفة من إرث العرب والمسلمين، التي عرفتها حواضر فلسطين وجنان الشام ووادي النيل وبلاد الرافدين وغيرها وهو ماكان مع شاعرنا الكسندر والذي نجد تأثره جلي في قصيدته وخطابه الفني (من حافظ مُعسكرٌ قُربَ الفُرات') من ومضات موحية إلى إيمان فيه الّرحمةُ تحجب بالجمال سيوف الموت، والي النجاة تمضي والمتوجه بالرضاء النفسي والاطمئنان الروحي.[1]

لاتفتتن بالمجد الوضيع

أيها الفتى الوسيم !

لاتلق بنفسك في المعركة الدموية

أعرف أن الموت لن يصيبك:

فعزرائيل بين السيوف

سوف يلحظ جمالك

وسوف يشفق عليه !

ولكنني أخشى: أنك ستفقد

بين المعارك للأبد

[1]-ناظم مجيد حموده، مُحاكاة ثقافة أهل البادية في أشعار بوشكين

http://www. alquds. co. uk/?p=169925

تواضع الخطوات الوجلة

هناء النعيم والحياء[1]!

وما يمكن استنتاجهُ في ختام هذا الفصل هو تعدد الصور المقدمة للآخر في ديوان «قصائد شرقية» فالشاعر الروسي يمثل انفتاحاً على الآخر، لكن هذا الانفتاح لا ينطلق من فراغ، بل جاء نتيجة عوامل ذكرناها سابقا.فالشاعر تباينت عنده الصور عن الشرق من تقديم صورة نمطية وفق نظرة مسبقة لربما لعجزه عن فهم هذا الشرق أي الآخر المختلف الذي صدمه بصورة لم يعهدها من قبل، وهذا ما أكده هنري باجو "كل صورة كاذبة بالضرورة"،[2] ولكن هذا لم يلبث طويلا حتى حدث احتكاك مباشر بالشرق، صورة تقر بالإختلاف والإعجاب بالأخر(الشرق).

يمثل إنتاج بوشكين شاهد عيان على تأثره بالشرق العربي الإسلامي و رغبته في البحث في التراث الروحي لهذا الشرق، وكما تجسد تأثره بالشرق العربي بالإعجاب والتجاوب مع القيم الإسلامية المتمثلة في القران الكريم والسيرة النبوية. وعلى حد قوله "القران هو الكتاب الديني الوحيد الذي أذهل مخيلتي"[3]

ففي مجال التناص الديني اتخذ بوشكين مساراً خاصاً به وبما يتناسب مع رؤيته الفكرية والقومية، والوطنية. ظهرت من خلال تفاعلاته مع النصوص الدينية من معاني الحرية، والعدالة والثورة ،و البعث ، والعذاب، فهي ليست محاولة نسخ أو تقليد القران الكريم وإنما قام بوشكين باستلهام مواضيع ذات بعد إنساني التي يزخر بها القرآن الكريم وبذكائه وبحنكته استطاع أن يطرحها في قالب شعري وبأسلوب أدبي فني يلفت انتباه قارئ شعره، ومن دون شك تجلت صورة الشرق في إنتاجه بالموضوعية والمصداقية.

[1] الكسندر بوشكين، القصائد الشرقية، تر، طارق مردود، ص:. 72

[2] هنري باجو، الادب العام المقارن، تر، غسان السيد، دط، 1997م، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، ص:92.

[3] شهاب غانم، بوشكين الذي يعرفنا، (كتاب جديد عن شاعر روسيا الذي قرت القران الكريم وتغنى بمعانيه)، ص:13.

خاتمة

خاتمة:

يخلص البحث عبر خطواته المحددة سلفا، إلى مجموعة من النتائج الملخصة والدقيقة، حول أهم ما ورد عبر الفصلين المدرجتان ضمنهما، من نتائج **الفصل الأول: التفاعل الحضاري (التأثر والتأثير) بين العرب وروسيا** مايلي:

- تعد دراسة العوامل (الوسائط) مهمة التي يتم من خلالها تفاعل وتقارب الآداب إلى آداب أخرى فمن خلالها يتحدد شكل التأثيرات والإتصالات الأدبية. بحيث ابتدأت معرفة روسيا بالشرق من خلال عدة وسائط التي ساهمت في عملية التأثر والتأثير وتشكل ما يعرف بالتفاعل الحضاري،وهذا عزز انتقال الثقافة الشرقية إلى الثقافة الروسية.

- بلغة ذروت التبادل الثقافي بين روسيا والشرق في القرن التاسع عشر ميلادي وذلك لما ميزه من ازدهار والحاجة إلى معرفة الأخر.

- وإذا نظرنا إلى المجالات التي برز فيها التفاعل بين الثقافتين العربية والروسية على وجه الخصوص، نجد أن هذا التفاعل قد برز على نحو واضح وفعال في مجال الإبداع الأدبي ولعل أول مايخطر ببالنا في هذا الصدد تأثر شاعر روسيا ألكسندر بوشكين بالثقافة الشرقية.

-تنوعت مصادر تأثر الشاعر الروسي بالثقافة الشرقية أهمها، اهتمام أوروبا بشكل عام وروسيا بشكل خاص بالمشرق العربي وثقافته، وأيضا معاصرة بوشكين فترْة ازدهار الإستشراق في روسيا، التي تزامنت مع ظهور الحركة الرومانسية، وكان أحد روادها، وكذلك الوضع السياسي في روسيا،ناهيك عن دوافع ذاتية التي تتعلق بإصوله.

-انبهر المتخيل الإبداعي الروسي بالمتخيل الإبداعي الشرقي بكل روافده، واطلاعه على الموروث الثقافي الشرقي المتمثل في ألف ليلة وليلة والعديد من الأعمال.

ومن نتائج **الفصل الثاني:تجليات الثقافة الشرقية في الشعر الروسي ألكسندر بوشكين «قصائد شرقية» مايلي:**

- تأثر الشاعر الروسي الكسندر بوشكين بالحضارة الشرقية، وبرزت معالم التفاعل مع الشرق في أشعاره بقوة وتجلى ذلك في مدونته قصائد شرقية.

-تجسد تأثره بالشرق بالإعجاب والتجاوب مع القيم الأخلاقية والإنسانية التي يحوي عليها القران الكريم وكذا السنة النبوية.

-نجح بوشكين في إشراك المتلقي في العملية الإبداعية بفضل الدلالات التي حملها التناص الديني، حيث وسع من هامش البحث والاطلاع والتفسير لدى المتلقي.

-تغيرت الصورة النمطية لدى بوشكين، بحيث يرى أن اختلاف الثقافة المنظورة عن الثقافة الناظرة ضرورة حتمية لان كل امة لها عاداتها وتقاليدها ولغتها تميزها عن غيرها ولابد من التعايش الإنساني.

وهكذا عبر أدب بوشكين عن الثقافة الشرقية التي تفاعل معها، ومثلما كان لها تأثير قوي في حياته كان لها تأثير قوي في حياته، وكان لها تأثير أخر في نصوصه لايقل قوة وعمقاً.

قَائِمَةُ المَصَادِرِ وَالمَرَاجِعِ

قائمة المصادروالمراجع

*القرآن الكريم، رواية ورش.

أ-المصادر

1-الكسندر، بوشكين: القصائد الشرقية، تر، طارق مردود، ط1، منشورات دار علاء الدين، دمشق، 1999م.

ب-المراجع

2-باجو، دانييال هنري: الأدب العام المقارن، تر، غسان السيد، دط، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1997م.

3-بن محمد الريامي، كمال: مشاهير الرحالة العرب، ط1،للنشر والتوزيع كنوز القاهرة، 2013م.

4-تشارلز، موزر: تاريخ الادب الروسي، تر: شوكت يوسف، دط، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2011م

5- ساردار، ضياء الدين: الاستشراق صورة الشرق في الآداب والمعارف الغربية، تر: فخري صالح. ط1، هيئة ابوظبي للسياحة والثقافة، 2012م.

6- سعيد، ادوارد: الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق، تر: محمد عناني. ط1، رؤية للنشر والتوزيع القاهرة، 2006م.

7- عبد الفتاح، فاطمة : اضاءات على الاستشراق الروسي، اتحاد الكتاب العرب، سوريا_دمشق، 2000م

8- الذهبي، شمس الدين: سير أعلام النبلاء، تح: محمد بن عيادي بن عبد المنعم، ط1، مكتبة الصفا القاهرة، 1424هـ/2003م.

9- الغمري، مكارم: مؤثرات عربية وإسلامية في الأدب الروسي، دط، عالم المعرفة، الكويت، 1991م

10-القرني، عائض: التفسير المسير، ط1، مكتب العبيكان، الرياض، 4، 1431هـ-2010م

11- محمود، سعدون: السلوك. الاستشراق الروسي، الطبعة1، دار المناهج، عمان، 2003م.

12- مفتاح، محمد: تحليل الخطاب الشعري(استراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 1992

13-محمود، سعدون: السلوك. الاستشراق الروسي، الطبعة1، دار المناهج، عمان، 2003م.

ج-المجلات:

14- مجلة الآداب الأجنبية، العدد99_100، صيف، خريف، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1999م.

15- مجلة متون ثقافية، الاتحاد،، د. ع، 2010م

16- مجلة عالم الفكر، مجلد، 18، العدد3.

17- مجلة فصلية، جامعة الكوفة، العدد1، 2014م/1435.

د-موقع الكتروني:

18-ناظم، مجيد حموده: ُمحاكاة ثقافة أهل البادية في أشعار بوشكين

http: //www. alquds. co. uk/?p=169925

هـ-المراجع باللغة الانجليزية:

19-Catherine and others ,under the sky of my Africa Alexander Pushkin and blackness, northwestern *university* press,published2006 .

فهرس

المحتويات

المحتوى	الصفحة
إهداء	
شكر وعرفان	
مقدمة.....	أ-ج
الفصل الأول: التفاعل الحضاري (التأثر والتأثير) بين العرب وروسيا	
تمهيد.....	6
1-الوسائط.....	6
1-1-النجارة.....	6
1-2-الاستشراق.....	7
1-3-الرحالة.....	12
1-4-الترجمات.....	14
2- مؤثرات الثقافة العربية الإسلامية في انتاج الكسندر بوشكين.....	21
2-1-حياته.....	21
2-2-أهم أعماله.....	22
2-3-بوشكين والثقافة العربية الإسلامية.....	27
الفصل الثاني: تجليات الثقافة الشرقية في الشعر الروسي ألكسندر بوشكين "القصائد الشرقية"	
1-التعريف بالمدونة.....	34
2-نماذج مختارة	35
2-1-قبسات من القرآن.....	35
2-2-النبي.....	50
2-3-مسلم فقير.....	53
2-4-أسير القوقاز.....	56
2-5-القوقاز.....	61

2-6-من حافظ..... **62**

خلاتة..... **65**

قائمة المصادر والمراجع..... **68**

فهرس المحتويات..... **71**

ملخص

يسعى هذا البحث إلى دراسة تجليات الثقافة الشرقية في شعر الكسندر بوشكين، وتبيان المنطلقات والدوافع التي أسهمت بطرق شتى في تشكيل المتخيل الروسي في هذا المجال.

بحيث يكشف البحث عن الوسائط التي انتقل من خلالها التراث الشرقي إلى التراث الروسي، وقد برز على نحو واضح وفعال في مجال الإبداع الأدبي الذي استلهم منه مثقفي الروس موضوعاتهم وتصوراتهم بما يتوافق مع أذواق قراءهم.

كما عرج عن المؤثرات العربية الإسلامي في إنتاج الكسندر بوشكين وجسد تأثره بالشرق بالإعجاب والتجاوب.

Resume :

This research seeks to study the manifestations of Eastern culture in the poetry of Alexander Pushkin, and to illustrate the premises and motives that contributed in various ways to form the Russian imagination in this area.

So that the search for the media through which the eastern heritage to the Russian heritage, has emerged in a clear and effective in the field of literary creativity, which inspired the intellectuals of the Russian themes and perceptions in line with the tastes of their readers.

The Arab-Islamic influences in the production of Alexander Pushkin and the body of the East influenced him with admiration and responsiveness.